جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

خُطْبَة النبي ﷺ في الأنصار بَعْدَ غنائمِ حُنَيْنٍ

دراسة في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

إعداد

د/ياسر السيد رياض السيد المرسي
أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية اللغة العربية بالزقازيق
جامعة الأزهر

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

خُطْبَة النبي ﷺ في الأنصار بَعْدَ غنائمِ حُنَيْنٍ: دراسة في ضوء نظرية الأفعال الكلامية.

ياسر السيد رياض السيد المرسي
قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: yasserriad.25@azhar.edu.eg

الملخص:

تُبرز هذه الدراسة دورَ "الأفعال الكلامية" في خُطْبَته صلى الله عليه وسلم التي اسْتَرْضى فيها الأنصارَ؛ لغضبهم بعد تقسيم الغنائم في غزوة حُنَيْنٍ، ووَضْعِها في غيرهم، مع أنهم شاركوا في تحقيق النصر، وقد توفَّرتُ على هذه الأفعال؛ لإبراز ما تُشَكِّلُه من أغراض إنجازية وتأثيرية، تَمَّتْ في إطار تداولي معروف للنبي ﷺ والأنصار، وكان لها أكبر الأثر في اقتناع الأنصار، وتغيير موقفهم، وقد كشف السياق عن وظائفِها، ومعانِيها المرادة، وتأثيرِها العميق في النفوس، والعلاقاتِ الاجتماعية. وهو ما يعكس قيمةَ الخطاب في تحقيق الفهمِ والنتائجِ المطلوبة، ويُظهر أهميةَ ربط الأحداث بمواقفها؛ لإدراك مقاصد الخطاب، واستيعاب دلالاته. وقد جاءت الدراسة في مبحثين: عرضت في الأول منهما لمفردات عنوان البحث، وعلاقة "نظرية الأفعال الكلامية" بـ"التداوليه". وتناولت في المبحث الثاني "الأفعال الكلامية" في الخُطْبَة محلِّ الدراسة، ووضعت لكل مجموعة منها عنوانًا يمثِّلُ مشهدًا في الخُطْبَة. وذكرت في الخاتمة النتائج، ومن ثَمَّ فالهدف من البحث هو تعرُّفُ هذه الملامح، والكشفُ عن أبعادها، وآثارها في مستقبلي هذه الخُطْبَة من الأنصار، والإفادةُ من أزمنة الأفعال في تحديد المقصود من الكلام، وقد التزمت فيه بالمنهج الوصفي، القائم على التحليل والإحصاء. بالإضافة إلى الاستفادة من معطيات المنهج التاريخي فيما يتعلق بالظرف الخارجي الذي قِيلت فيه الخُطْبَة.

الكلمات المفتاحية: خُطْبَة النبي، الأنصار، غنائم حُنَيْن، التداولية، الأفعال الكلامية.

The Prophet's (peace be upon him) Sermon to the Ansar after the Spoils of Hunayn: A Study in Light of Speech Act Theory.

Yasser El-Sayed Riyad El-Sayed El-Morsi
Department of Philology, Faculty of Arabic Language, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt.
Email: yasserriad.25@azhar.edu.eg

Abstract:
This study highlights the role of speech acts in the Prophet's (peace be upon him) sermon in which he reconciled with the Ansar, who were angered after the distribution of the spoils of the Battle of Hunayn, which had been allocated to others despite the Ansar's role in securing victory, The study focuses on these speech acts to reveal their performative and persuasive purposes, enacted within a well-understood pragmatic context shared between the Prophet (peace be upon him) and the Ansar. These acts had a significant impact on convincing the Ansar and changing their stance, The context revealed their functions, intended meanings, and profound influence on hearts and social relationships. This reflects the value of discourse in achieving understanding and desired outcomes, and emphasizes the importance of connecting events to their contexts to grasp the objectives and meanings of the discourse, The study consists of two sections :The first presents a historical overview of Speech Act Theory and its relation to Pragmatics, The second analyzes the speech acts in the sermon under study, grouping them into scenes, each with a representative title ,The conclusion summarizes the findings Hence, the aim of this research is to identify these features, reveal their dimensions, and their effects on the future followers of this sermon among the Ansar, and to benefit from the tenses of the verbs in determining the intended meaning of the speech. I have adhered to the descriptive approach, based on analysis and statistics, in addition to benefiting from the data of the historical approach regarding the external circumstances in which the sermon was delivered.

Keywords : The Prophet's Sermon, The Ansar, Spoils of Hunayn, Pragmatics, Speech Acts.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح الخلق، نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامين. وبعد:

فللدرس اللغوي الحديث عناية كبيرة **بالخطابِ**، أو **اللغةِ حالَ استعمالها** إيمانًا بدور السياق التواصلي في معرفة مراد المتكلم، ووقوفِ المخاطَب عليه. ويُعرف فيه هذا الاتجاه بـ"التداولية"، التي تهتم بتأثير اللغة في حياتنا، أكثر من اهتمامها بنظامها الشكلي.

وتسعى هذه الدراسة للكشف عن تأثير اللغة، وقوتها الإنجازية في واحدة من خُطَبه صلى الله عليه وسلم، وهي خُطْبَته في الأنصار بعد توزيع غنائمِ غزوة حُنَيْنٍ. من خلال نظرية "الأفعال الكلامية"، إحدى المباحث المهمة في التداولية.

وتحاول هذه الدراسة أن تُجيب عن مجموعة من الأسئلة تمثِّل **إشكالية البحث**، وهي: ما حجم الإفادة من الأفعال الكلامية في هذه الخُطْبَة؟ وما أنواعها؟ وما معانيها التداولية؟ وإلى أيِّ مدى أثَّرت في وِجْدَان الأنصار وموقفهم العملي؟ وما أثر أَزْمِنَتِها الصرفية والسياقية في فهم المراد من الجملة؟

ومن ثَمَّ فالهدف من البحث هو تعرُّفُ هذه الملامح، والكشفُ عن أبعادها، وآثارها في مستقبلي هذه الخُطْبَة من الأنصار، والإفادةُ من أزمنة الأفعال في تحديد المقصود من الكلام.

وقد التزمت فيه **بالمنهج الوصفي**، القائم على **التحليل والإحصاء**. بالإضافة إلى الاستفادة من معطيات **المنهج التاريخي** فيما يتعلق بالظرف الخارجي الذي قِيلت فيه الخُطْبَة.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في مبحثين، تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: تحدثت فيها عن سبب اختيار الموضوع، وحدوده، ومنهجي فيه، وإشكالية البحث، والهدف منه، ومصادر الدراسة، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: عرضت فيه للمفردات الواردة في عنوان البحث، وعلاقة "نظرية الأفعال الكلامية" بـ"التداوليه".

المبحث الثاني: تناولت فيه "الأفعال الكلامية" في الخُطْبَة محلِّ الدراسة ووضعت لكل مجموعة منها عنوانًا يمثِّلُ مشهدًا في الخُطْبَة.

الخاتمة: ذكرت فيها نتائج البحث.

وأفدت في دراستي هذه من **مصادر** متنوعة في اللغة، والسنة النبوية والتاريخ، والبلاغة، وغير ذلك، كسيرة ابن إسحاق (ت ١٥١ هـ)، والعين للخليل (ت ١٧٥ هـ)، والكتاب لسيبويه (ت ١٨٠ هـ)، والمَعالِم في أصول الفقه للرَّازي (ت ٦٠٦ هـ)، والإيضاح للخطيب القَزْوِيني (ت ٧٣٩ هـ)، وفتح الباري لابن حجر العَسْقَلَاني (ت ٨٥٢ هـ)، والتداولية لفليب بلانشيه (Phillip Blanchette)، والتداولية عند العلماء العرب د/ مسعود صحراوي، وآفاق جديدة في البحث اللغوي د/ محمود نحلة.

<u>الدراسات السابقة:</u>

عرض الأستاذ الدكتور رفعت التُّهامي[١] لهذه الخُطْبَة في صفحات من كتابه: "من فنون الأدب العربي في عصر صدر الإسلام"[٢]، فأشار إلى **المناسبة** التي قيلت فيها، **وعناصرِ بنائها** من مقدمة، وموضوع، وخاتمة، يُسْلِمُ كلٌّ منها للآخر.

(١) أستاذ الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بالمنصورة فرع جامعة الأزهر، ثم كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان فرع جامعة الأزهر.

(٢) الكتاب كان من المقررات الدراسية في كلية اللغة العربية بالمنصورة، ولا توجد عليه بيانات تتعلق بالطبعة إلا السنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

وتناول **بعض خصائص الأسلوب في الخُطْبَة**، وعَدَّ منها:

١- تخصيص الخطابِ، وقد أدَّاهُ النداء في قوله صلى الله عليه وسلم: (يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ).

٢- الأسئلة؛ حيث كَثُرَ توجيهُها للمخاطَبين.

٣- التفريغ النَّفْسي؛ عن طريق موافقة المخاطَبين في أهم ما يثير نفوسهم، ثم بإظهار الحكمة المنشودة مما فعله صلى الله عليه وسلم في أمر الغنائم.

٤- الشمول لجوانب الموضوع، والإجابة عن الأسئلة الماثلة في نفوس الأنصار.

٥- الإقناع، وقد بلغ قمة ما يرجى منه في هذه الخُطْبَة.

٦- الطابع الأدبي للخُطْبَة، **والمتمثل في:**

أ- الإيجاز.

ب- تحديد العناصر، أي التمايز بينها، وعدم تكرار شيء منها.

ج- تجسيد المعاني، كالتعبير عن ميله للأنصار بسُلُوك طريقهم وتركِ طريق الناس أجمعين.

٧- اشتمال الخُطْبَة على بعض الأساليب البلاغية، والصور الفنية الرائعة، وذكر منها:

أ- الاستفهامَ التقريري في **(أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ)؟**

ب- التوافُقَ الموسيقي في تقسيم الجمل، وما فيها من مقابلات في **(أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وعالةً فَأَغْناكُمُ اللهُ)؟**

ج- الكنايةَ عن الله سبحانه بقوله صلى الله عليه وسلم: **(فوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ)**.

٨- اشتمال الخُطْبَة على أساليب التأكيد للإقناع، وعَدَّ منها: **(أَمَا وَاللهِ)، (فوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيدهِ)**[١].

عالجت هذه الدراسة للأستاذ الدكتور رفعت التُّهامي الجوانبَ الفنية في الخُطْبَة، وانطلقتْ منها لفهمها، وإدراك أبعادها، ولم تعتمد في تحليلها على "الأفعال الكلامية"، ووظائفها السياقية، اللَّهُمَّ إلا في إشارتها للنداء، والاستفهام التقريري، والقَسَم، كما مَرَّ آنفًا. **بخلاف دراستي؛ فإنها تركِّز على "الأفعال الكلامية" في تحليل هذه الخُطْبَة، واستكشاف دلالاتها ومقاصدها. وهي أفعال كثيرة ومتنوعة، بلغت (٦٥) فعلًا كلاميًّا**، كما سيأتي.

- وثَمَّةَ دراساتٌ أُخَرُ مهمة عن "التداولية"، أو "الأفعال الكلامية" في بعض الأحاديث، أو الخطب النبوية، غير أنها لم تعرضَّ للخطبة محلِّ الدراسة فيما أعلم. من ذلك:

١- ظاهرة الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي –مقاربة تداولية لخطبة الوداع، د/حبيب بوزوادة، بحث منشور بمجلة جذور –السعودية، العدد (٣٥) نوفمبر ٢٠١٣م.

٢- تحليل الخطاب النبوي في ضوء الدراسات النصية والتداولية: أول خطبة جُمعة ألقاها الرسول ﷺ في المدينة أنموذجًا. د/ ليلى محمد بايزيد، بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، العدد (١٠٣) مايو ٢٠١٧م.

٣- الأفعال الكلامية في الأحاديث النبوية: دراسة تداولية الأربعين النبوية أنموذجا. ليونس عبدالله محمد الدخي العبادي. بحث منشور بمجلة

(١) انظر: من فنون الأدب العربي في عصر صدر الإسلام د/ رفعت التُّهامي عبد البَرّ ١٠٧-١٢٩

الدراسات التاريخية والحضارية جامعة تكريت –العراق، المجلد (١٠)، العدد (٣٧) ديسمبر ٢٠١٨م.

٤– الخطاب النبوي في كُتُب الصِّحَاح والسِّيرة النبوية: دراسة لغوية تداولية د/ خالد السادات إبراهيم عيسى، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ٢٠١٨م.

٥– أفعال الكلام في خطبة الوادع د/ مثياق عباس زعير الخفاجي، بحث منشور بمجلة لارك جامعة واسط –العراق، العدد (٣٩) ٢٠٢٠م.

وأسأل الله –عزَّ وجلَّ– أن أكون قد وُفِّقْتُ فيما قصدت إليه هنا! وأن يكون عملي خالصًا لوجهه الكريم! وسببًا في شفاعة المصطفى لي يوم الدين! والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

د/ ياسر السيد رياض السيد المرسي

❁ ❁ ❁

المبحث الأول: وَقْفَةٌ مع مفردات عنوان البحث

يشتمل عنوان البحث على عدد من المفردات، من الضروري تحرير دلالاتها؛ لبيان ركائز الدراسة، وتوضيح محتواها قبل الدخول في تفاصيلها، وهذه المفردات بحسب مجيئها في العنوان هي:

١- الخُطْبَةُ:

الخُطْبَةُ في اللغة: مِنْ خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وخِطَابًا، إذا كَلَّمَهُ وحادَثَهُ(١). وأُخذ مِنْهُ معناها **الاصطلاحي**؛ فقيل: الخُطْبَةُ اسمٌ لِلْكَلام المَنْثُور الذي يَتَكَلَّمُ به الخَطِيبُ في جَمْعٍ؛ لإقناعهم(٢).

٢- النَّبِيُّ:

هو هنا نبيُّنا محمد ﷺ ويُطْلَق هذا المصطلح على الإنسان الذي اصطفاه الله، وأوْحى إليه بشَرْع، سواءٌ أُمِرَ بتبليغه أم لا، فهو أعمُّ من الرَّسُول الذي يُؤْمَر بالتَّبْلِيغ(٣).

وقد اختُلف في اشتقاقه، فقيل: إنه

-من أَنْبَأَ، أي أَخْبَرَ؛ لأنه يُخْبِرُ عن الله، وتُخفف همزته. (النَّبِئُ ← النَّبِيُّ).

-أو من النَّبْوَة، وهي الارْتِفاعُ من الأَرْض؛ لارْتِفاع قَدْرِه، ولأنه شَرَّفَ على سائِر الخَلْق، فليس مهموزًا في الأصل(٤).

---

(١) انظر: المقاييس (خطب) ١٩٨/٢، واللسان (خطب) ١١٩٤/٢، والمصباح المنير (خطب) ١٧٣/١

(٢) انظر: حِلْيَة الفقهاء لابن فارس ٨٧، والتعريفات للجُرْجَاني (الخطابة) ١٣٤، والمعجم الوسيط (خطب) ٢٥١/١-٢٥٢

(٣) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٣١٩، والكليات لأبي البقاء الكَفَوِيّ (النبي) ٩٠٠، والطِّراز الأَوَّل لابن مَعْصُوم المدني (نبأ) ٢٠٧/١

(٤) انظر: تهذيب اللغة (نبا) ٤٨٦/١٥، واللسان (نبا) ٤٣١٦/٦، والصحاح (نبأ) ٧٤/١، =

ودفع بعض العلماء الرأي الأخير؛ لقول سِيبَوَيْهِ: (ليسَ من العَرَب أحدٌ إلَّا وهو يقول: تَنَبَّأَ مُسَيْلَمَةُ)[1]. فإجماعُهم على "تَنَبَّأَ" دليل على أن لام "النَّبِيّ" همزة[2]، وَلَا يجوز أَن يكون مأخوذًا من النَّبْوَة؛ إِذْ لَو كَانَ مأخوذًا مِنْها لَكَانَ همزُه غَلَطاً[3]. كما أن (وقوعَ اسمِ الأَخْبارِ عن الرَّسُول أولى من وقوع اسمِ الرِّفْعة؛ لأنه للإخْبار عن الله أُرْسِلَ)[4].

وترجِّح هذه الأدلةُ السماعية والدلالية لدى البحث كذلك أن لام "النَّبِيّ" همزة. ومن ترك همزه فإنه خفَّفَه؛ لكثرة دورانه واستعماله، وأبدل من الهمزة حرفًا من جنس ما قبلها، وهو الياء، وأدغم الياء في الياء[5].

٣- <u>الأَنْصارُ:</u>

<u>الأَنْصارُ</u> جَمْعُ نَاصِرٍ، مِثْلُ صَاحِبٍ وَأَصْحَابٍ، من نَصَرَهُ، أي أَعانَهُ على عَدُوِّه وأَيَّدَه[6].

=

و(نبا) ٦/٢٥٠٠، والتاج (نبأ) ١/٤٤٦

(١) الكتاب ٣/٤٦٠ وقد تَنَبَّأَ (ادَّعى النُّبُوَّةَ) مُسَيْلَمَةُ بن حَبِيبٍ الحَنَفِيُّ باليَمَامَة (مدينة تابعة حاليًا لمنطقة الرِّياض بالسُّعودية) على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، سنة عَشْر هجرية، وقُتل في حروب الرِّدَّة في خلافة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– سنة اثنتي عشرة هجرية. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٧٢–٧٣ و٥٩٩–٦٠٠١

(٢) انظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢/٨٩، والكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٤٤، والمخصص (باب التهمة والشك –الخبر والحديث) ٣/٤٧٤ و(باب ما تركت العرب همزه وأصله الهمز) ٤/٢٠٠

(٣) انظر: المخصص (باب التهمة والشك –الخبر والحديث) ٣/٤٧٣

(٤) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٤٤

(٥) انظر: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٤٤

(٦) انظر: جمهرة اللغة (نصر) ٢/٧٤٤، والصحاح (نصر) ٢/٨٢٩، والمصباح المنير =

وهي صفةٌ تُطلَقُ في الأصل على أَعْوَانِ أيِّ شَخْصٍ، ولكنها غلبت على جماعة أعانَتْه صلى الله عليه وسلم، ينصرف إليها الذهن حين تُذكر هذه الكلمة؛ قال ابن سِيده (ت ٤٥٨ هـ): (الأنْصَارُ: أَنْصَارُ النبيِّ ﷺ غَلبتْ عليهم الصِّفَة، فجَرَى مَجْرَى الأَسماءِ، وصار كأَنَّهُ اسْمُ الحَيِّ؛ ولذلِك أُضيفَ إِلَيْهِ بلَفْظ الجَمْع فقيل: أَنْصارِيٌّ)[١]. وعَيَّنهُم المعجم الوسيط في عبارته: (الأَنْصارُ: أَهْلُ مَدِينَةِ الرَّسُولِ الَّذين ناصَرُوهُ حِين هَاجر إِلَيْهِم، وهم خلاف المُهَاجِرِينَ)[٢].

صورة قديمة للمدينة المنورة قبل نحو ١٠٦ سنة، من الشبكة العنكبوتية.

=

(نصر) ٦٠٧/٢، والقاموس المحيط (نصر) ١٤١/٢

(١) المخصص (باب اللِّدَة –الرَّدُّ عن الرَّجُل يقال فيه السُّوء والعَطْفُ عليه ونَصْرُه) ٣٨٠/٣، وهو في المحكم (نصر) ٣٠٠/٨ ، واللسان (نصر) ٤٤٣٩/٦–٤٤٤٠، والتاج (نصر) ٢٢٥/١٤

(٢) المعجم الوسيط (نصر) ٩٦٣/٢

٤- **غَزْوَة:**

الغَزْوَةُ اسم مرَّةٍ من الغَزْوِ، وهي في **اللغة:** القَصْدُ، ومنه: مَغْزَى الكَلام، أي مَقْصِدُهُ[١] وخُصَّت في **الاصطلاح الإسلامي** بما قَصَدَ فيه رسولُ الله ﷺ الكفَّارَ للقتال، بنفسه أو بجيش من قِبَلِه[٢]. فإذا لم يكن في قتال الكفار أَيٌّ من هذين القَيْدَيْن؛ فلا تُسمى حربُهم غَزْوَةً، بل "سَرِيَّة"[٣]، أو غيرها.

وقَصْدُ الكفَّارِ أعمُّ من أن يكون إلى بلادهم، أو الأماكن التي نزلوها؛ حتى دخل في الغَزَوات ما ساروا هُمْ فيه للمسلمين، مثلُ: "أُحُد" و"الخَنْدَق"[٤].

٥- **حُنَيْنٌ:**

"حُنَيْنٌ" مُصَغَّرٌ اسْمُ وَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ والطَّائِفِ. وهُوَ مُذَكَّرٌ مُنْصَرِفٌ على معنى المَوْضِع، وَقَدْ يُؤَنَّثُ على معنى البُقْعَةِ[٥]. يقع شمال شرق مكَّة المكرمة، على بُعد سبعة وعشرين كيلو متر تقريبًا.

---

(١) انظر: المحكم (غزو) ٣٨/٦، والنهاية في غريب الحديث (غزو) ٣٦٦/٣، واللسان (غزو) ٣٢٥٣/٥

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (أول كتاب المغازي) ٣٢٦/٧، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقَسْطَلاني (أول كتاب المغازي) ٢٤٠/٦ ولذا يقال: غَزْوَةُ "مُؤْتَةَ"، وإن لم يشهدها صلى الله عليه وسلم بنفسه؛ لأنه أَرسل فيها جيشًا من قِبَلِه لقتال الروم سنة ثمان هجرية. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣٧٣/٢-٣٧٤

(٣) انظر: فيض الباري على صحيح البخاري لمحمد أنور شاه (أول كتاب المغازي) ٣/٥

(٤) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (أول كتاب المغازي) ٣٢٦/٧، وفيض الباري على صحيح البخاري (أول كتاب المغازي) ٣/٥-٤

(٥) انظر: الصحاح (حنن) ٢١٠٥/٥، والمحكم (حن) ٥٣٧/٢، ومعجم ما استعجم للبَكْرِي (حنين) ٤٧١/٢-٤٧٢، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (حنين) ٣١٣/٢، واللسان (حنن) ١٠٣٢/٢، والمصباح المنير (حنن) ١٥٤/١، والقاموس المحيط (حن) ٢١٣/٤، والتاج (حنن) ٤٦٤/٣٤

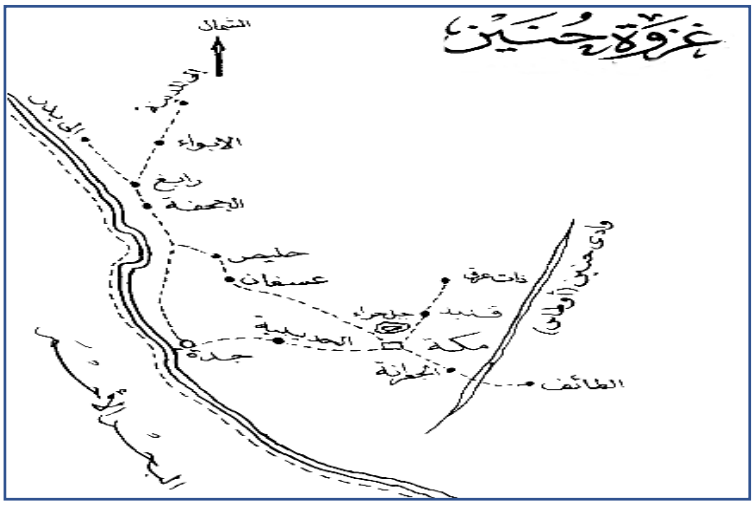

خريطة يظهر عليها وادي "حُنَيْنٍ" بين مكة والطائف في المملكة العربية السُّعودية، من الشبكة العنكبوتية.

وقد جاء اسم هذا الوادي في القرآن الكريم؛ إذ تُعْرَف به الغَزْوَة التي وقعت فيه، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا**﴾(١). وملخَّصُ (قِصَّة "حُنَيْنٍ" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَتَحَ مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، ثُمَّ خَرَجَ منها لِقِتَال هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ، وقد بَقِيَتْ أَيَّامٌ من رَمَضَانَ، فَسَارَ إِلَى "حُنَيْنٍ"، فَلَمَّا التَقَى الجَمْعَان انْكَشَفَ المسلمون، ثُمَّ أَمَدَّهُمْ اللَّهُ بِنَصْرِه فَعَطَفُوا، وَقَاتَلُوا المُشْرِكِينَ فَهَزَمُوهُم وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُم)(٢).

٦- <u>الأفعال الكلامية:</u>

نظرية "<u>الأفعال الكلامية</u>" من مباحث البراجماتية pragmatique (التداولية)(٣)، وأهم فروعها، بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة

(١) التوبة، من الآية: ٢٥

(٢) المصباح المنير (حنن) ١٥٤/١

(٣) تهتم "التداولية" بدراسة بعض الظواهر اللغوية، مثل: الإحالة، والاقتضاء، والاستلزام =

للأفعال الكلامية[١]. ويلزم من ذلك الحديث عن "التداولية" وتاريخها، قبل التعرض لنظرية "الأفعال الكلامية" هذه.

تعريف التداولية:

التداولية: مصدر صناعي من الفعل (د و ل) الذي يدل في **اللغة** على التَّحَوُّل والانتقال؛ يقال: انْدَالَ القَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إلى مَكَانٍ. وتَدَاوَلَ القَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ[٢].

وتتصل هذه الدلالة بالمعنى **الاصطلاحي** لـ"التداولية" الذي يرتكز على تداول اللغة بين المتخاطِبِين؛ حيث يقال في تعريفها: إنها دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خَطابية وتواصلية واجتماعية في الوقت نفسه[٣]. أو هي: (التخصص الذي يندرج ضمن اللِّسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل)[٤].

فالتداولية تربط بين العلامات اللغوية ومستعمليها، وتختلف بذلك عن علم الدلالة semantics الذي يربط بين العلامة اللغوية وما تُحيل عليه (الدال والمدلول)، فهو يهتم بدراسة المعنى في حدِّ ذاته[٥].

=

الحواري، ومفهوم الافتراضيات المسبقة، والأفعال الكلامية. انظر: تحليل الخطاب العربي د/ محمود عكاشة ٦٣٩-٦٤٠، والتداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي د/ مسعود صحراوي ٢٥

(١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي د/ محمود أحمد نحلة ٤١

(٢) انظر: مقاييس اللغة (دول) ٣١٤/٢، ولسان العرب (دول) ١٤٥٦/٢

(٣) انظر: التداولية، لفيليب بلانشيه ١٩

(٤) السابق ١٩

(٥) انظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ٢٩، والتداولية لفيليب بلانشيه ٤٤-٤٥، والنظرية البراجماتية اللسانية التداولية د/ محمود عكاشة ٢٢، والاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د/ علي عزت ٤٧-٤٨

نشأة التداولية وتطورها:

أول من استعمل مصطلح "البراجماتية" بهذا المفهوم الحديث هو الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس" سنة ١٩٣٨ م. على أن "التداولية" لم تتطور بشكل يُعتد به في الدرس اللغوي الحديث إلا في السبعينيات من القرن العشرين، بجهود ثلاثة من جامعة "أكسفورد" البريطانية: "جون أوستين"، و"سيرل"، و"جرايس"(١).

فهي علم حديثٌ، غربي النشأة، وإن وُجِدَت مظاهر لها عديدة في التراث العربي القديم، **كالقَصْدِيَّة**، فإنها مبدأ تداولي، يقاس به نجاح التخاطب(٢)، ويكثر الحديثُ عن **قصد المتكلم والمقام** في دراسة **البلاغيين** القدامى لنظرية "الخبر والإنشاء"، أو ما يسمى في الدرس اللساني الحديث بـ"**الأفعال الكلامية**"(٣).

وكالنظر إلى اللغة في حال التواصل والاستعمال لمعرفة **المعنى المراد**، كما في قول ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) عن التعبير العربي: "لا أَبا لَكَ ": إنه **دعاء** في **المعنى**، وإن كان في **اللفظ خبرًا**؛ لأنه يقال **لمَنْ له أبٌ، ولمَنْ ليس له أبٌ**(٤). وهو جوهر التداولية. وستأتي دلائل لذلك أيضًا في الحديث عن نشأة "نظرية الأفعال الكلامية".

وقد تُرجم مصطلح "البراجماتية" إلى الذرائعية، والمقصدية، والمقامية، والتداولية. و"التداولية" أكثرها شيوعًا، وأقربها إلى **طبيعة البحث فيها**؛ لأنه قد

(١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٩، وعلم اللغة الحديث د/ محمد حسن عبد العزيز ٣٤٥

(٢) انظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب د/ محمد يونس علي ٣٤

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القَزْوِيني ٢٤-١١٧، والتداولية عند العلماء العرب د/ مسعود صحراوي ٦ و٤٩

(٤) انظر: الخصائص ١/٣٤٣-٣٤٤

نُظِرَ فيه إلى "تداول" اللغة بين المتكلم والمخاطَب، الذي يدل على **التفاعل** الحي بينهما في **استعمال اللغة**(١).

وترجع ترجمة "البراجماتية" إلى "التداولية" للدكتور "طه عبد الرحمن"، في عام ١٩٧٠م(٢).

التعريف بنظرية الأفعال الكلامية:

تسمى أيضًا: نظرية الحدث الكلامي، ونظرية الحدث اللغوي، والنظرية الإنجازية(٣)، ونظرية الأعمال اللغوية(٤).

ويعني الفعل الكلامي عند "أوستين" و"سيرل" التصرف أو العمل الاجتماعي، أو المؤسَّساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام(٥).

أو هو كلُّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي، إنجازي تأثيري. أي أنه يجيء لتحقيق أغراض إنجازية، كالاستفهام، والطلب، والأمر، والوعد، والوعيد، والإخبار، كما يُحقِّقُ غاياتٍ تأثيرية تَخُصُّ رُدودَ فعل المتلقي، كالرفض والقبول(٦).

---

(١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٥٢ : وقد بيَّن الدكتور طه عبد الرحمن نفسُه السبب في اختياره هذا المصطلح مقابلًا للبراجماتية، وهو أنه يوفِّي المطلوب حقَه؛ باعتبار دلالته على معنيي: "الاستعمال" و"التفاعل" معًا. انظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام د/ طه عبد الرحمن ٢٨

(٢) انظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام د/ طه عبد الرحمن ٢٨، والنظرية البراجماتية اللسانية التداولية د/ محمود عكاشة ١٥ حاشية رقم:١، والدكتور "طه عبد الرحمن" مغربيٌّ، أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس بالرباط –المغرب.

(٣) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٥٩

(٤) انظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ٣٣

(٥) انظر: التداولية عند العلماء العرب د/ مسعود صحراوي ١٠

(٦) انظر: التداولية عند العلماء العرب د/ مسعود صحراوي ٤٠

ويراعي هذا التعريف مكونات الفعل الكلامي الثلاثةَ عند "أوستين"، وهي أنه:

١- لفظي: حيث يتألف من أصوات لغوية، لها دلالة أصلية، تُفهم من هذه الأصوات، كاجْتَهِدْ.

٢- إنجازي: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال، كالأمر في المثال السابق.

٣- تأثيري: ويراد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب، بالاستجابة لهذا الأمر، أو رفضه(١).

وكقول أحدهم للآخر: "إن لم تتعلمْ، سأهجرْك". فالفعل الكلامي هو **إنتاج** هذه الجملة في حد ذاته، وغرضه **الإنجازي** التهديد أو التحذير، وغرضه **التأثيري** استثارة الخوف، أو التصميم على التعلم(٢).

وذلك لأن الفكرة الأساسية في نظرية الأفعال الكلامية أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير، بل إنها أداة قوية تتحوَّل فيها **الأقوال في معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية**؛ فحينما يقول القاضي: "فُتِحَت الجلسة"، يكون قد أنجز فعلًا اجتماعيًّا، وهو فتح الجلسة(٣). وعندما يتحدث المتكلم فإنه يخبر عن شيء، أو يأمر، أو ينهى، أو يَشْكر، أو يَعْتذر، أو يُحَذِّر، أو يَدْعو، أو يُسَمِّي، أو يعقد صفة تجارية، أو يتزوج، أو يُطَلِّق، إلى آخره(٤).

(١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٤٥-٤٦ و٦٨

(٢) انظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية د/ عمر بلخير ١٤٩

(٣) انظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تأليف: فان دايك ٢٩٢، وتحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ١٤٥

(٤) انظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب د/ محمد يونس علي ٣٤

نشأة نظرية "الأفعال الكلامية" وتطورها:

يعد الفيلسوف الألماني "أدولف راياخ" أول من طرح فكرة " الأفعال الكلامية"، ولكن "جون أوستين" (ت ١٩٦٠ م) هو المؤسس الحقيقي لنظرية "الأفعال الكلامية" في اللسانيات الحديثة، وقد طرحها في محاضراته بجامعة "هارفارد" بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٥ م، وجمعها تلاميذه بعد وفاته في كتاب "كيف نفعل الأشياء بالكلمات". ثم قام "جون سيرل" وغيره من البراجماتيين بتطوير هذه النظرية أثناء السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين(١).

وقد عرف **أسلافنا** هذا المبحث المهم من مباحث التداولية؛ فالأفعال الكلامية في اللسانيات الحديثة، هي "الخبر والإنشاء" عند **البلاغيين القدامى**(٢)، كما مرَّ آنفًا.

كما بحثها **ابن فارس** (ت ٣٩٥ هـ) في باب مستقل تحت عنوان: "معاني الكلام"، درس فيه الخَبَر، والاسْتِخْبار والأَمْر، والنهي، والدعاء، والطَّلَب، والعَرْض، والتَّحْضِيض، والتمني، والتعجب(٣).

وجاءت عند **الأصوليين**(٤) كذلك في مباحث الأوامر والنواهي والاستفهام، وغيرها مما عرضوا فيه لمعاني الأفعال وخروج دلالاتها الوضعية إلى **دلالات سياقية يريدها المتكلم**، كما في قول الرازي (ت ٦٠٦ هـ) مثلًا: (قوله تعالى

---

(١) انظر: تحليل الخطاب العربي د/ محمود عكاشة ٦٤١، وحاشية رقم: ٣ من الصفحة نفسها، ومقدمة في علمي الدلالة والتخاطب د/ محمد يونس علي ٣٤

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القَزْوِيني ٢٤-١١٧، والتداولية عند العلماء العرب د/ مسعود صحراوي ٦ و٤٩

(٣) انظر: الصاحبي ٢٨٩-٣٠٤ ويقصد ابن فارس بالاسْتِخْبار الاستفهام.

(٤) انظر: التداولية عند العلماء العرب د/ مسعود صحراوي ٧

لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[١] **وليس المراد منه الاستفهام؛ لأنه على الله تعالى محال،** بل "**الذَّم**"، فإنه لا عُذر له في التَّرْك بعد وُرودِ الأمر)[٢].

فقد اعتمد الرازي في إرادة المعنى التداولي (الذَّم)، واستحالةِ المعنى الدلالي (الاستفهام) على **حال المتكلم.**

وتوجد لمَحات من ذلك كثيرة، **متناثرة** في المصنفات العربية القديمة، كما في قول الزجاج (ت ٣١١ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ [٣]: **(هذا اللفظ أمرٌ على معنى الوعيد والتهدُّدِ بعد أن أُعْلِموا ما يجب أن يَعْمَلوا به،** ثم قيل لهم: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [٤]، **وهذا كلام يستعمله الناس في التهدد والوعيد.** تقول: متى أسأتَ إلى فلانٍ انتقمتُ مِنْكَ، ومتى أَحْسَنتَ إليه أحسنتُ إليك فاعملْ ما شئتَ واخْتَرْ. لنفسك، **فخُوطب العباد على قَدْر مُخَاطَبَاتِهِم وَعِلْمِهِمْ)**[٥].

فقد أبرز الزجاج **المعنى التداولي لهذه الأفعال عن طريق السياق الاجتماعي الذي تستعمل فيه. وهو جوهر التداولية،** كما تقدم.

تصنيف الأفعال الكلامية:

عُني التداوليُّون بتصنيف الأفعال الكلامية إلى مجموعات على أساس معانيها الإنجازية. وهي محاولات لتنظيم المعرفة، وتيسير البحث، ولم تخل من

(١) الأعراف، من الآية: ١٢

(٢) المعالم في علم أصول الفقه لفخر الدين الرازي ٥١

(٣) الزمر، من الآية: ٣٩

(٤) الكهف، من الآية: ٢٩

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٣٥٥-٣٥٦

النقد. كتصنيف "أوستين" الذي جعلها خمسة أصناف[١]، فقد اعتُرض عليه بأنه يسمح بتداخل بعض المجموعات؛ كـ"فِعْل الحُكْم" " فإنه يمكن أن يصير "فِعْل قرار" في بعض السياقات، والعكس[٢].

وكتصنيف "سيرل" الذي جعلها خمسة أصناف أيضًا[٣]، فقد انتُقد ببعض الأشياء؛ كخلوه من أفعال التحذيرات، والنداء، والتضرع، والدعاء[٤].

---

(١) هي: -أفعال الأحكام: كالتبرئة، والإدانة، والتقدير.

-أفعال القرارات: كالإذن والطرد، والحرمان والتعيين.

-أفعال التعهد: وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء، كالوعد، والقَسَم، والضمان.

-أفعال السلوك: وهي ما تكون ردًّ فعل لحدث ما، كالاعتذار، والشكر، والمواساة.

-أفعال الإيضاح (العرض): وتستعمل لإيضاح وجهة النظر، كالاعتراض، والموافقة، والتشكيك، والإنكار. انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٤٦ و٦٩-٧٠، وتحليل الخطاب المسرحي د/ عمر بلخير ١٤٩-١٥١

(٢) انظر: تحليل الخطاب المسرحي د/ عمر بلخير ١٥١

(٣) هي: -الإخباريات: وغرضها الإنجازي وصف المتكلم واقعة معينة، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب.

-التوجيهات: وغرضها الإنجازي حَمْلُ المخاطَب على فعل شيء معين، ويدخل فيها الأمر، والنهي، والنصح، والاستعطاف، والتشجيع.

-الالتزاميات: وغرضها الإنجازي التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، كالوعد والوصية.

-التعبيريات: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن حالة نفسية، كالشكر، والتهنئة، والاعتذار، والمواساة.

-الإعلانيات: وغرضها الإنجازي إحداث تغيير عن طريق الإعلان، كإعلان الحرب. انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٤٩-٥٠ و٧٨-٨٠، وتحليل الخطاب المسرحي د/ عمر بلخير ١٥١-١٥٢

(٤) انظر: تحليل الخطاب المسرحي د/ عمر بلخير ١٥٤

على أن تصنيف "الأفعال الكلامية" إلى مجموعات كهذه، لا يعني أن التداوليِّين يدرسونها معزولة عن سياقها الكلامي والحالي؛ فذلك يخالف منهج التداولية التي تعتمد على القصدية وقرائن السياق في تحديد معانيها التداولية[١] الحاصلة في الخطاب.

والآن مع "الأفعال الكلامية" في الخُطْبَة ضمن سياقاتها.

(١) انظر: التداولية عند العلماء العرب د/ مسعود صحراوي ٥٣

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية في الخُطْبَة

قبل الحديث عن "الأفعال الكلامية" في هذه الخُطْبَة، يلزم إيرادُ نصِّها، والإشارةُ إلى مصادرِها، والتَّثَبُّتُ من صِحَّتِها، ومعرفةُ سياقها الخارجي؛ فذلك يفيد في إدراك مقاصدِها، واستيعابِ دلالاتها، والاطمئنانِ إلى النتائج المبنيَّة عليها.

- **نص الخُطْبَة:**

(عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ[1] قالَ: لمَّا أَعْطى رَسُولُ اللهِ ﷺ ما أَعْطى مِنْ تلك العَطَايا، في قُرَيْشٍ وفى قبائِلِ العَرَبِ ولَمْ يَكُنْ في الأَنْصارِ منها شَيْءٌ؛ وَجَدَ[2] هذا الحَيُّ من الأَنْصارِ في أَنْفُسِهِمْ، حتَّى كَثُرَتْ مِنْهُمُ القَالَةُ[3]، حتَّى قالَ قائِلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ واللهِ رَسُولُ اللهِ قومَه ، فدَخَلَ عليه سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ[4]، فقالَ: يا

---

(١) اشتهر بكنيته هذه (أبي سَعيد الخُدْرِي)، واسمه سَعْد بن مالك بن سِنَان بن الأَبْجر (والأَبْجر هو خُدْرَة) بن عَوْف الخَزْرَجِي الأنصاري. روى عن رسول الله كثيرًا، وأول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله ١٢ غزوة، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، مات سنة ٧٤ هجرية، وقيل غير ذلك انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٤٩/٣-٥٠ (ترجمة رقم: ٩٥٩)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١٧٢/٣-١٧٥ (ترجمة رقم: ٣٢٠٤).

(٢) وَجَدَ عَلَيْهِ يَجِدُ ويَجُدُ وَجْدًا وجِدَةً ومَوْجِدَةً ووِجْدَانًا: غَضِبَ. المحكم (وجد) ٥٣٣/٧، واللسان (وجد) ٤٧٧٠/٦، والتاج (وجد) ٢٥٥/٩

(٣) القالَةُ: القَوْلُ الفاشِي في الناسِ خَيْرًا كان أَو شَرًّا. انظر: العين (قول) ٢١٣/٥، وتهذيب اللغة (قال) ٣٠٤/٩، والتاج (قول) ٣٠١/٣٠

(٤) هو سَعْدُ بن عُبَادَةَ بن دُلَيْم الخَزْرَجِي الأنصاري، سيد الخَزْرَج، شهد العَقَبَة، وكان أحدَ النُّقَبَاء، كانت لرسول الله رايتان في المواطن كلِّها، مع علي بن أبي طالب راية المهاجرين، ومع سَعْد بن عُبَادَةَ راية الأنصار. اشتهر بالجود، وكانت له عناية كبيرة بإطعام أهل الصُّفَّة، خرج إلى الشام فمات بحَوْران، سنة ١٥ أو ١٦ هجرية. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١٥٨/٣-١٥٩ (ترجمة رقم: ٣١٨٠).

رَسُولَ اللهِ، إنَّ هذا الحَيَّ من الأَنْصارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ في أنفسِهم؛ لِمَا صَنَعْتَ في هذا الفيْءِ[١] الذي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ في قَوْمِكَ، وأَعْطَيْتَ عَطَايا عِظاماً في قبائِلِ العَرَبِ، ولَمْ يَكُ في هَذَا الحَيِّ مِنَ الأَنْصارِ مِنْها شَيْءٌ.

قالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يا سَعْدُ؟ قال: يا رَسُولَ اللهِ، ما أَنا إلَّا مِنْ قَوْمِي. قال: فاجْمَعْ لِي قَوْمَك في هَذِه الحَظِيرةِ[٢]. قال فَخَرَجَ سَعْدٌ، فجَمَعَ الأَنْصارَ في تِلْكَ الحَظِيرَةِ. قال: فجاءَ رِجالٌ من المُهاجِرِينَ فتَركَهُمْ فدَخَلُوا، وجاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا له أَتاهُ سَعْدٌ، فقالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الحَيُّ مِنَ الأَنْصارِ، فأَتاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عليه بما هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قالَ: يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ: ما قالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوها عَلَيَّ في أنفسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فهَداكُمُ اللهُ؟ وعالةً[٣] فأَغْنَاكُمُ اللهُ؟ وأَعْداءً فألَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قالوا:

---

(١) الفَيْءُ: مَا حَصَلَ للمُسْلِمين من أموال المشركين بقِتَالٍ وَغير قِتَالٍ. وخصَّه بعضُ اللغويين بما حَصَلَ للمُسْلِمين من أموالهم بلا قِتَالٍ. انظر: تهذيب اللغة (فيأ) ٤١٥/١٥، والنهاية في غريب الحديث ٤٨٢/٣، واللسان (فيأ) ٣٤٩٦/٥، والتاج (فيأ) ٣٥٥/١ والأول أدقُّ؛ لأنه حَدَثَ قِتَالٌ بين المُسْلِمين والكفار في غزوة حُنَيْنٍ، وسَمَّى سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ ما حَصَلَ للمُسْلِمين من أموالهم فِيها فَيْأً. فيُستدرك بهذا الشاهد على القول الثاني، كما تظهر دقَّةُ أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) في التفريق بين الغَنِيمَةِ والفَيْءِ على أساس الخصوص والعموم، إذ قال: (الغَنِيمَةُ: اسْمُ مَا أُخِذَ من أَمْوَال المُشْركين بقِتَالٍ. والفَيْءُ: مَا أَخِذَ من أموالهم بقِتَالٍ وَغير قِتَالٍ). الفروق اللغوية ١٨٦

(٢) الحَظِيرَةُ: موضع يُحاطُ عليه بشَجَر، أو قَصَب، أو بِناء، سُمِّيت بذلك؛ لأنها تمنع ما فيها من الانْبِعاثِ أو التَّلَف، تطلق على ما تأوي إليه الماشيةُ والطيورُ، وجَرِين التَّمْر. انظر: العين (حظر) ١٩٦/٣، وحلية الفقهاء لابن فارس ٢٧، والمحكم (حظر) ٢٨٢/٣، والطِّراز الأَوَّل لابن مَعْصُوم المدني (حظر) ٣٠٩/٧، والمعجم الوسيط (حظر) ١٩٠/١

(٣) العالَةُ: الفُقَراء، جمع عَائِل. النهاية في غريب الحديث والأثر (عيل) ٣٣١/٣، واللسان =

بلى، اللهُ ورَسُولُه أَمَنُّ وأفْضَلُ. ثُمَّ قالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ؟ قالوا: بماذا نُجِيبُكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ للهِ ولرَسُولِهِ المَنُّ والفَضْلُ. قال صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ: أمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ ولَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ، ومَخْذُولًا فنَصَرْناكَ، وطرِيدًا فآوَيْناكَ، وعائِلًا فآسَيْنَاكَ. أَوَجَدْتُمْ يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ في أَنْفُسِكُمْ في لُعَاعَةٍ[1] من الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بها قَوْماً ليُسْلِمُوا، ووَكَلْتُكُمْ إلى إسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ أنْ يَذْهَبَ الناسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ، وتَرْجِعُوا برَسُولِ اللهِ إلى رِحَالِكُمْ؟

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصار، ولَوْ سَلَكَ الناسُ شِعْباً[2] وسَلَكَتِ الأَنْصارُ شِعْباً، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصارَ، وأَبْناءَ الأَنْصارِ، وأَبْناءَ أَبْناءِ الأَنْصارِ.

قال: فبَكَى القَوْمُ حتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُم[3]، وقالوا: رَضِينَا برَسُولِ اللهِ قَسْماً، وحَظًّا. ثمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وتَفَرَّقُوا)[4].

=

(عيل) ٣١٩٤/٤

(١) اللُّعاعَة: أَوَّلُ النَّبْتِ، والشيءُ اليَسِير من الدُّنيا انظر: المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (لع) ٩٦/١، والنهاية في غريب الحديث (لعع) ٢٥٤/٤، واللسان (لعع) ٤٠٤٢/٥

(٢) الشِّعْبُ: الطَّرِيقُ في الجبل. الصحاح (شعب) ١٥٦/١، والقاموس المحيط (شعب) ٨٨/١

(٣) أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ: بَلُّوها بالدُّموع. النهاية في غريب الحديث (خضل) ٤٣/٢، واللسان (خضل) ١١٩٠/٢

(٤) السيرة النبوية لابن إسحاق ٥٨٧-٥٨٨، والسيرة النبوية لابن هشام ٤٩٨/٢-٥٠٠، ومسند الإمام أحمد -مسند أبي سَعيد الخُدْرِيِّ- ٣/ ٧٦، (حديث رقم: ١١٧٤٨)، وتاريخ الطبري ٩٣/٣-٩٤، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير ٦٧٨/٣-٦٧٩

- **مصادرُ رواية الخُطْبَة، وبيانُ مدى صِحَّتِها:**

روى محمد بن إسحاقَ (ت ١٥١ هـ) هذه الخُطْبَة في "سيرته"، ونقلها عنه بعض العلماء، كابن هشام (ت ٢١٨ هـ) في "سيرته"، والإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) في "مُسْنَده"، والطَّبَرِي (ت ٣١٠ هـ) في "تاريخه"، وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) في "سيرته" (كما رأينا في الحاشية الخاصة بتوثيق الخُطْبَة). وقد عَقَّبَ عليها ابن كثير بأنها صحيحة(١).

وروى البُخَاري (ت ٢٥٦ هـ) أجزاءً منها في صحيحه، ليست من رواية ابن إسحاق(٢).

- **السياق الخارجي للخُطْبَة:**

لا يمكن إغفال **العوامل الخارجية في تحديد المعنى**؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية وثيقة الصلة بمن يتعامل بها من الناس، ثقافةً وفكرًا(٣). وهو ما يُظْهِر قصورَ المعنى المعجمي، وأنه ليس كلَّ شيء في إدراك معنى الكلام؛ فإنه توجد **عناصر غير لغوية** لها دخل كبير في تحديده، **كشخصية المتكلم، وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به**، كالجوِّ مثلًا، أو الحالة السياسية (٤).

وبالتالي فإنه من الضروري هنا معرفة السياق الخارجي لهذه الخُطْبَة (سببها، وحالة الأنصار النفسية، وموقف النبي ﷺ من هذه الحالة)؛ فإن ذلك يفيد في تحديد معاني "الأفعال الكلامية" فيها، ويعين على معرفة وظائفها السياقية.

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير ٦٧٩/٣

(٢) انظر: صحيح البخاري –كتاب مناقب الأنصار، باب قولِ النبي: لَوْلا الهِجْرَةُ لكُنْتُ امْرَأً من الأَنْصارِ– ٧٥/٥ (حديث رقم: ٣٧٦٦).

(٣) انظر: مستويات التحليل اللغوي أ.د/ عبد المنعم عبد الله حسن ٢٠٢

(٤) انظر: علم اللغة د/ محمود السعران ٢١٥

لقد جاءت هذه الخُطْبَة بعد توزيع غنائم غزوة حُنَيْن، سنة ثمان هجرية[١]؛ عندما غضب الأنصار؛ لأنهم حُرِموا منها[٢]. وقد تَمَّتْ في "حَظِيرة" بالمدينة المنورة، جمعهم فيها سَعْدُ بن عُبَادَة الأنصاري للنبي ﷺ حيث خطبهم، وأكد فيها حبَّه الشديد للأنصار، وأنه أعطى غيرهم من الداخلين في الإسلام حديثًا، من قريش وغيرهم؛ ليؤلِّف قلوبهم، ولم يعطهم؛ لِمَا يعلم من قوة إيمانهم، ورسوخ إسلامهم.

وقد أثَّرَت هذه الخُطْبَة في شعورهم، وسلوكهم، وغيَّرت موقفهم. وقامت "الأفعال الكلامية" في ذلك بدور بارز.

<u>ويمكن تلخيص عملية الاتصال اللغوية هذه فيما يأتي:</u>

المرسل (النبي) ← الرسالة (محتوى الخطبة) ← قناة الاتصال (صوتية) ← المستقبل (الأنصار) ← الأثر.

<u>الأفعال الكلامية في الخُطْبَة:</u>

ورد في هذه الخُطْبَة مجموعة من الأفعال الكلامية ذات تأثير في العملية التواصلية بين النبي ﷺ والأنصار. وهي أفعال متنوعة: **تقريرية (إخبارية)** تتمثل قوتها الإنجازية في وصف مجريات في أحداث النص، أو نقلُ وقائع في العالم الخارجي[٣]. **وأخرى إنشائية،** مهمتها الإنجازية تحقيق فعل في عالم الواقع[٤].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤٣٧/٢، وتاريخ الطبري ٧٠/٣

(٢) ذكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) أيضًا هذا السبب في كتابه: أسباب وُرُود الحديث (باب الأدب، سبب رقم: ٢٤٨) ٣٠٥-٣٠٦

(٣) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٤٣، وتحليل الخطاب المسرحي د/ عمر بلخير ١٤٦

(٤) انظر: تحليل الخطاب المسرحي د/ عمر بلخير ١٤٧ والخَبَر: هو الكلام المحتمل للصدق والكذب. والإنشاء: ما ليس كذلك، وهو طلبي، كالأمر والاستفهام والنداء، وغير =

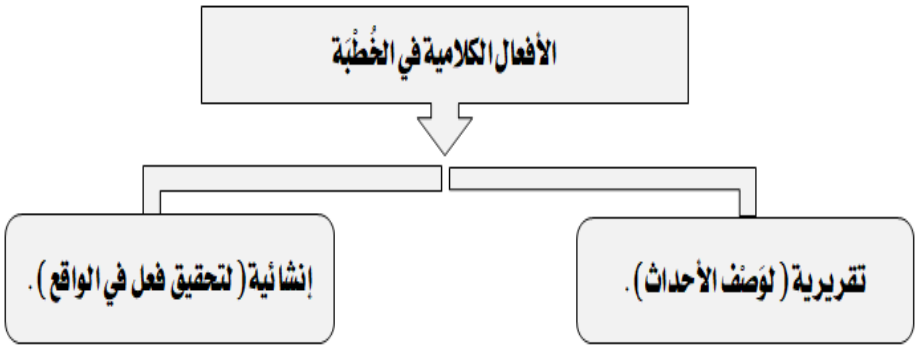

وقد يحتوي المشهد الواحد في الخُطْبَة على كلا النوعين. ووضعت لكل مجموعة من هذه الأفعال عنوانًا يمثِّلُ مشهدًا في الخُطْبَة، على النحو الآتي:

أولًا– أفعال دالة على غضب الأنصار، وسببه:

وقد جاءت في هذا **الملفوظ: (عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قال : لما أَعْطى رَسُولُ اللهِ ﷺ ما أَعْطى مِنْ تِلْكَ العَطَايا، في قُرَيْشٍ وفى قبائِلِ العَرَبِ ولَمْ يَكُنْ في الأَنْصارِ منها شَيْءٌ، وَجَدَ هذا الحيُّ من الأَنْصارِ في أنفسِهم، حتَّى كَثُرَتْ منهم القَالَةُ، حتَّى قال قائلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ واللهِ رَسُولُ اللهِ قومَه ، فدَخَلَ عليه سَعْدُ بْنُ عُبَادةَ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ هذا الحَيَّ من الأنصارِ قد وَجَدُوا عَلَيْكَ في أنفسِهم؛ لِمَا صَنَعْتَ في هذا الفيْءِ الذي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ في قومِك، وأَعْطَيْتَ عَطَايا عِظاماً في قبائِلِ العَرَبِ، ولَمْ يَكُ في هَذا الحَيِّ من الأَنْصارِ منها شَيْءٌ. قال: فأيْنَ أنتَ من ذَلِكَ يا سَعْدُ؟ قال: يا رَسُولَ اللهِ، ما أنا إلَّا مِنْ قَوْمي).**

الأفعال الكلامية في هذا الملفوظ متنوعة: تقريرية (إخبارية) وإنشائية.

=

طلبي، كالتعجب والقَسَم. انظر: الإيضاح للقَزْوِيني ٢٥، و١٠٨، والتعريفات للجرجاني (الإنشاء) ٥٦ و(الخبر) ١٢٩، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (الإخبار) ١١٤/١ و(الإنشاء) ٢٨٢/١-٢٨٣

أ-**الأفعال التقريرية**، وهي هنا أكثر، وتتمثل في: دَخَلَ، وأَصَبْتَ، وصَنَعْتَ، وأَعْطَيْتَ، وقَسَمْتَ، وقالَ، وكَثُرَتْ، ولَمْ يَكُ، ولَقِيَ، ووَجَدُوا.

وغرضها الإنجازي: نقلُ وقائع في العالم الخارجي، وهي عبارة عن أحداث انتهت، وقعت من رسول الله ﷺ والأنصار، وأَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وسَعْدُ بنُ عُبَادَةَ.

وقد دلَّت الصيغ على هذه الأحداث المنتهية، إلا الفعل المضارع "يَكُ"؛ فإن دلَّ على انتهاء الحدث، بوساطة أداة النفي "لَمْ" حين دخلت عليه: (ولَمْ يَكُ)[1]. واستعمال المضارع بمعنى الماضي معروف أيضًا في بعض اللغات السامية الأُخَرَ، كالعبرية، وإنْ اختلفت طريقته فيها[2].

وتتَّسِمُ الأفعال الكلامية التي توجَّه بها سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ لرسول الله ﷺ بأنها متعددة، ومتلاحقة؛ لقِصَر جملِها، وأنها ذات إيقاع سريع.

ويناسب ذلك **المقامَ المضطرب الذي جرى فيه الكلام**؛ فإن سَعْدًا – رضي الله عنه– يُصَوِّرُ غضبَ الأنصار لرسول الله ﷺ وجَوٍّ كهذا تناسبه السرعةُ، واختيارُ مفردات لغوية تعبِّر عن الحركة والتدفُّق. بل إنه حَذَفَ النون من "يَكُنْ" في "**لَمْ يَكُ في هَذا الحَيِّ من الأَنْصارِ منها شَيْءٌ**"؛ مراعاة لهذا المقام، أو للدلالة على أن الأنصار فاتهم نصيبُهم من غنائم حُنَيْنٍ، ولم ينتفعوا منها بشيء[3]. وحذفُ النون من "يَكُنْ" في هذه الحالة (أي عند اقترانها بـ"لَمْ" النافية) جائز، غير لازم[4]. ولا يُقاس عليه غيره[1].

---

(١) "لَمْ" من خواص الفعل المضارع، وتدخل عليه فتقلب معناه إلى الماضي. انظر: الأصول في النحو لابن السراج ١٩٠/٢، والجنى الداني للمرادي ٢٦٧، وشرح ابن عقيل ٢٦/٤

(٢) انظر: التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر ٨٨

(٣) انظر في أغراض حذف النون من "يَكُنْ": البرهان للزركشي ٤٠٧/١-٤٠٨، ومعاني النحو د/ فاضل صالح السامرائي ٢٣١/١

(٤) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٩٩/١

وقد خاض الأنصار كثيرًا في مسألة توزيع الغنائم هذه، وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ قد آثر عليهم قريشًا بعد أن لَقِيَهم. ونقف على **كَمِّ هذا الخوض والخوف من الأفعال الكلامية:** (قالَ، لَقِيَ، كَثُرَتْ)، في الملفوظ: **(حتَّى كَثُرَتْ منهم القَالَةُ، حتَّى قالَ قائلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ واللهِ رَسُولُ اللهِ قَوْمَه)**.

ويمثل الفعل **(وَجَدُوا)** النقطة المركزية في النص؛ فهو الداعي للخطبة أصلًا. وقد عبَّر عن الحالة النفسية للأنصار، والشعورِ الذي أَلْفَوْهُ في صدورهم بعد توزيع الغنائم. وتتسق دلالة الفعل هذه مع المعنى المحوري للتركيب، يقول ابن فارس: (الوَاوُ والجِيمُ والدَّالُ، يَدُلُّ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ **الشَّيُّ يُلْفِيهِ**. وَوَجَدْتُ الضَّالَّةَ وِجْدَانًا. وَحَكَى بَعْضُهُمْ: **وَجَدْتُ فِي الغَضَبِ** وِجْدَانًا)[٢].

وقد دلَّ الفعل "وَجَدُوا" على حدوث غضب الأنصار، وأفاد استمراره لوقت الخُطْبَة؛ ولذا خطب فيهم النبي ﷺ لإزالته، ومحو أثره من صدورهم.

وقد يخرج الفعل الماضي عن معناه في الأصل، وهو الدلالة على انتهاء الحدث وانقطاعه، إلى بعض المعاني السياقية، كإفادة الدوام والاستمرار[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[٤]. قال الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ): (أي كانَ ويكونُ وهو كائِنٌ، جلَّ ثناؤه)[٥]. ومنه قول جَرِير الشاعر الأُمويّ (ت ١١٠ هـ):

=

(١) انظر: الأصول في النحو ٣/٣٤٣، والخصائص ٣/١٤٩

(٢) المقاييس (وجد) ٦/٨٦، وانظر: الصحاح (وجد) ٢/٥٤٧، واللسان (وجد) ٦/٤٧٧٠

(٣) انظر: البرهان للزركشي ٤/١٢١–١٢٧، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٤٩٠–٤٩١، ومعترك الأقران للسيوطي ٢/٢٤٥

(٤) النساء، من الآية: ٩٦

(٥) فقه اللغة للثعالبي (فصل في الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو مستقبل، وبلفظ المستقبل وهو

=

وَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ ** لِمَنْ كانَ بَعْدي في القَصَائِدِ مَصْنَعَا[١].

يريد: (لِمَنْ **يَكُونُ** بَعْدِي)[٢]. وذلك من المشترك السامي؛ فكل اللغات السامية يوجد فيها هذا الاستعمال المعكوس لصيغة الماضي[٣].

ب- الأفعال الإنشائية، ويصورها في الملفوظ المتقدم:

١- **الاستفهام**، وجاء في قوله صلى الله عليه وسلم لسَعْد بن عُبَادَة -رضي الله عنه- لما دخل عليه، وأخبره بغضب الأنصار بسبب الغنائم: **(فأَيْنَ أنتَ من ذَلِكَ يا سَعْدُ؟ قال: يا رَسُولَ اللهِ، ما أنا إلا مِنْ قَوْمي)**.

وتدل إجابة سَعْد بن عُبادة على أنه **استفهام حقيقي، غرضه الإنجازي** معرفة موقفه مما نقله عن الأنصار. وقد فهم هو هذا **المعنى التداولي المراد** من السؤال؛ لأنه يحدِّث النبي ﷺ بذلك لأول مرة، فالسياق الحواري يقتضيه.

ولعل **الغرضَ من هذا الاستفهام التقرير**؛ فربما ظهر من **طريقة** عرض سَعْد بن عُبَادَة لموقف قومه أنه يرتضي ذلك، **فأراد النبي ﷺ تقريره** بما ظهر من **حاله**. وكان تأليف الجُمَل عنده دالًّا على ذلك أيضًا؛ حيث أتى سَعْد بن عُبَادَة بعدد كبير من الجمل القصيرة المتعاطفة قبل أن يستفهم النبيُّ ﷺ عن موقفه من غضب الأنصار، وهي: **(يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ هذا الحَيَّ من الأَنْصارِ قد وَجَدُوا عليكَ في أنفسِهم؛ لِمَا صَنَعْتَ في هذا الفيْءِ الذي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ في**

=

ماضٍ) ٣٣٠

(١) البيت من الطويل، في ديوانه ٩٠٤/٢ (قصيدة رقم: ٢٦، بيت رقم: ٢٤)، وهو من شواهد الأضداد لابن الأنباري ٦٠، وفقه اللغة للثعالبي ٣٣٠، دون نسبة فيهما، وبالفاء "فَأَدْرَكْتُ" بدلًا من "وَأَدْرَكْتُ".

(٢) الأضداد لابن الأنباري ٦٠، وفقه اللغة للثعالبي ٣٣٠

(٣) انظر: فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان ١١٣

قومِك، وأَعْطَيْتَ عَطَايا عِظاماً في قبائِلِ العربِ، ولَمْ يَكُ في هذا الحَيِّ من الأنصارِ منها شَيْءٌ).

٢– **النداء،** وقد تكرر مرتين في قول سَعْد بن عُبَادَةَ: **(يا رَسُولَ اللهِ إنَّ هذا الحَيَّ من الأَنْصارِ قد وَجَدُوا عليكَ في أنفسِهم.....يا رَسُولَ اللهِ، ما أنا إلَّا مِنْ قَوْمي).**

وغرضه الإنجازي: طلب إصغاء النبي ﷺ لسَعْد بن عُبَادَةَ، وإقباله عليه بذهنه؛ لأهمية ما سيقوله[(١)]؛ فإنه أخبره بعد النداء الأول بغضب الأنصار، وأعلمه بعد الثاني بأنه غاضب مثل قومه. والأمران في غاية الأهمية؛ لذا حرص سَعْد بن عُبَادَةَ على **استعمال النداء معهما**؛ للتنبيه على ذلك.

وإذا كان الفعل الكلامي قد حُذف من البنية السطحية، فإنه في البنية العميقة للكلام، وتؤدي "ياء" النداء وظيفته، وهي طلب الإقبال، والانتباه للكلام. قال سِيبَوَيْهِ مبيِّنًا ذلك: (وممَّا يَنتصب في غير الأمر والنهى على **الفعل المتروك إظهارُه** قولُك: يا عبدَ الله، والنِّداءُ كلُّه.....**حذفوا الفعلَ لكثرة استعمالهم هذا في الكلام، وصار "يَا" بدلًا من اللَّفظ بالفعل، كأَنه قال: يَا، أُريدُ عبدَ الله، فحذَف أُريدُ، وصارت "يا" بدلًا منها؛ لأنَّك إذا قلت: يا فلانُ، عَلِمَ أنك تريده)**[(٢)].

٣– **القَسَم،** وهو إنشائيٌّ غير طلبيٍّ، جاء به الأنصار في قولهم: **(لَقَدْ لَقِيَ واللهِ رَسُولُ اللهِ قَوْمَه)؛ لتأكيد** شعورهم بتفضيل رسول الله ﷺ قومه عليهم

---

(١) النداء: طلبُ إقبالِ من تنادِيه عليكَ، بحرف ناب مناب "أدعو". والإقبال قد يكون حقيقيًّا، وقد يكون مجازيًّا. انظر: حاشية الصبان ١٩٧/٣ أي إقبال الذات لعملٍ، وهو إقبال حقيقيٌّ، أو إقبال الذهن لوَعْيِ كلامٍ والإصغاءِ إليه، وهو إقبال مجازيٌّ. انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٦٦/٨ (عند تفسير الآية ٢٣ من سورة الأعراف)، و٦٢/١٦ (عند تفسير الآية ٣ من سورة مريم).

(٢) الكتاب ٢٩١/١

فحالتهم الذهنية تتخطى الشكَّ في حقيقة هذا الأمر. وهو ما يفيده القَسَم في السياقات التواصلية عامة، قال سيبويه –في أول باب الأفعال في القسم–: (اعلم أنَّ القَسَم توكيدٌ لكلامك)(١). وأشار إلى دلالته هذه ابن جني وغيره أيضًا(٢).

ويفيد **القَسَم** هنا بجانب ذلك التأكيد، أن الأنصار **أرادوا تبرير** غضبِهم، وموقفِهم المشحون تجاه كيفية توزيع النبي ﷺ غنائم حُنَيْنٍ.

ثانيًا– أفعال في تحقيق غضب الأنصار، وبيان فضل الله عليهم:

وقد جاءت في هذا الملفوظ: **(يا مَعْشَرَ الأنصارِ: ما قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوها عليَّ في أنفسِكُمْ؟ ألم آتِكُمْ ضُلَّالًا فهَدَاكُمُ اللهُ؟ وعالةً فأغْناكُمُ اللهُ؟ وأَعْداءً فألَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قالوا: بلى، اللهُ ورَسُولُه أَمَنُّ وأفْضَلُ. ثم قال: ألَا تُجِيبُونَنِي يا مَعْشرَ الأَنْصارِ؟ قالوا: بماذا نُجِيبُكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ للهِ ولرَسُولِه المَنُّ والفَضْلُ).**

الأفعال الكلامية هنا إنشائية، تمثلت في النداء، والاستفهام:

أ– **النداء الوارد في: (يا مَعْشرَ الأَنْصارِ).** و**غرضه الإنجازي:** طلب إصغاء الأنصار للنبي ﷺ وإقبالهم عليه بأذهانهم؛ للوعي بكلامه. كما تقدم(٣).

وقد افتتح صلى الله عليه وسلم الخطاب بالنداء، ومعروف أن هذه الطريقة تكون لتنبيه المخاطبين على أن ما في حيِّز الخطاب أمرٌ مهمٌ، يستدعي

(١) الكتاب ١٠٤/٣

(٢) انظر: اللُّمَع لابن جني ١٨٣، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٨٣٤/٢

(٣) انظر أيضًا في وظيفة النداء: الخصائص ١٩٦/٢، والجنى الداني في حروف المعاني ٣٥٤، ومن فنون الأدب العربي في عصر صدر الإسلام د/ رفعت التهامي ١١٩

مزيدَ اعتنائهم، وفرطَ اهتمامهم(١). وكَرَّرَ هذا النداء بعد ذلك ثلاث مرات في الخُطْبَة.

ولذلك **تأثير** كبير في نفوس الأنصار؛ فنداؤُهم بالصفة العظمى التي عُرفوا بها (الأنصار) يُذهب حِدَةَ قلوبهم، ويَسترضيهم. مما يُبيِّن الهدفَ من هذا النداء، **والغرضَ التأثيريِّ** له بجانب **غرضه الإنجازي**.

ب- <u>الاستفهام</u>، وهو هنا ذو **أغراض إنجازية مختلفة**، على النحو الآتي:

١- استفهام غرضه الإنجازي التعجب، وهو في جملتين توجَّه بهما النبي ﷺ للأنصار: **(ما قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟! وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوها عليَّ في أَنْفُسِكُمْ)؟!** فليس الاستفهام في ذلك حقيقيًّا؛ لأنه قد علم بموقفهم هذا قبل ذلك. وهو يحمل عتابًا لهم، وتعجبًا منهم، وكأنه لم يتوقع ذلك منهم.

٢- **استفهام غرضه الإنجازي التقرير**(٢)، وهو في ثلاث جُمل، توجَّه بها النبي ﷺ للأنصار: **(أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَداكُمُ اللهُ؟ وعَالَةً فأَغْناكُمُ اللهُ؟ وأعداءً فألَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ)؟**

فالاستفهام هنا ليس حقيقيًّا؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك، وإنما يريد من الأنصار أن **يُقِرُّوا بهذه النعم العظيمة: (**الهداية للإسلام، والغِنى، والتأليف بين قلوبهم)؛ فيستشعروا فضلَ الله عليهم، وحقارةَ الغنائم التي غضبوا من أجلها.

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٩٧/٢ (عند تفسير الآية: ١٤٩ من سورة آل عمران)، و١٧٠/٢ (عند تفسير الآية: ٢٩ من سورة آل النساء)، و ١١٥/٨ (عند تفسير الآية: ١ من سورة الحجرات)، وروح المعاني ٨٧/٤، ١٣١/٢٦

(٢) انظر: من فنون الأدب العربي في عصر صدر الإسلام د/ رفعت التهامي ١٢٨

وقد فهم الأنصار **قصد** النبي ﷺ **دون لبس**؛ فالاستفهام التقريري معهود في الخطاب العربي في بعض السياقات التواصلية[1]. ولذا قالوا في الإجابة عن هذه الأسئلة: **(بَلَى، اللهُ ورَسُولُه أَمَنُّ وأَفْضَلُ)**. مما يعني أنه قد تم تفكيك هذه الرسالة في ضوء خطاب تداولي، أو سُنن مشتركة يعرفها كل من المرسِل والمرسَل إليه[2].

ولا يُتَصَوَّر أنه صلى الله عليه وسلم يبكِّت الأنصار، أو يفخر عليهم في هذا **السياق الاسترضائي**.

٣- **استفهام غرضه الإنجازي الأمر التَّحْضِيضِي**، وهو في: **(أَلَا تُجِيبُونَنِي يا مَعْشَرَ الأنصارِ)**؟ فإنه صلى الله عليه وسلم **لا يستفهم من الأنصار هنا عن شيء، بل يطلب** منهم أن يجيبوه بذكر فضلهم عليه، بعد أن ذكر فضله عليهم بالنِّعَم العظيمة المتقدمة. فقد أدى **الاستفهام في هذا السياق وظيفة الأمر**.

٤- **استفهام غرضه الإنجازي التعظيم**، في: **(قالوا: بماذا نُجِيبُكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ للهِ ولرَسُولِهِ المَنُّ والفَضْلُ)**.

لا يطلب الأنصار بهذا **الاستفهام** من رسول الله ﷺ معرفةَ ما يجيبون به عليه، وإنما **وظيفته في هذا السياق تعظيمُ** شأنه صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم لم يجيبوه بذكر فضلهم عليهم؛ **إجلالًا وهيبةً لمقامه الشريف**. بدليل أنهم قالوا بعد هذا الاستفهام: **(للهِ ولرَسُولِه المَنُّ والفَضْلُ)**.

(١) انظر: الصاحبي ٢٩٣، ودلائل الإعجاز ١١٣-١١٤

(٢) انظر: التداوليات وتحليل الخطاب د/ جميل حمداوي ١٣

وقد **فهم** صلى الله عليه وسلم هذا **المعنى السياقي**؛ فقام هو بالإجابة[١]؛ رَفْعًا للحرج عنهم، إذ قال: **(أَمَا واللهِ لَوْ شِئْتُمْ لقُلْتُمْ....)**. وسنقف مع الإجابة كاملة في العنصر القادم، الخاص بالأفعال الدالة على فضل الأنصار.

وقد أفاد تحاوُرُه صلى الله عليه وسلم مع الأنصار بالاستفهامات المتقدمة، في تعزيز درجات الاقتناع لديهم، وتغيِّير غضبهم تجاه حَدَث توزيع غنائم حُنَيْن؛ فالأسلوب التَّحَاوُرِي برهان نفسي أو عاطفي يهدف للإقناع[٢]، وتفاعُلِ المخاطَبين.

ثالثًا– أفعال في بيان فضل الأنصار:

وقد وردت في قوله صلى الله عليه وسلم: **(أَمَا واللهِ لَوْ شِئْتُمْ لقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ ولَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ، ومَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وطَرِيدًا فآوَيْنَاكَ، وعائِلًا فآسَيْنَاكَ)**.

الأفعال الكلامية في هذا الملفوظ متنوعة: إنشائية وتقريرية (إخبارية).

أ– الأفعال الإنشائية، ويُمَثِّلها القَسَم والشَّرْط في قوله ﷺ للأنصار: **(أَمَا واللهِ لَوْ شِئْتُمْ لقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ ولَصُدِّقْتُمْ)**. وقد **أكدَّ** رسول الله ﷺللأنصار **بهذا القَسَم** ما يعتقده فيهم من أنهم صادقون في أنفسهم وعند الناس. **وتؤثر هذه الثقة** في الموقف الغاضب للأنصار، وتعمل على استلاله. **فللقَسَم غرض تأثيري بجانب غرضه الإنجازي.**

وأما **الشَّرْطُ** فقد **ظهر** من خلاله للأنصار أن تصديق النبي ﷺلهم متوقفٌ على مجرد قولهم؛ فإنه متى حصل الشَّرْط حصل الجزاء؛ لملازمة الثاني للأول

(١) انظر: من فنون الأدب العربي في عصر صدر الإسلام د/ رفعت التهامي ١١٢

(٢) انظر: الخطابة لأرسطو طاليس (مقدمة د/ محمد حمدي إبراهيم للكتاب) ٤٣ و٥٣

في هذا الأسلوب اللغوي[١]. وهذه **ثقة** أيضًا لها **غرض تأثيري** كغرض القَسَم المتقدم.

وتصديق النبي ﷺ لهم لا ينقطع؛ فإنه كان وسيكون في المستقبل أيضًا، فإنَّ "لَوْ" الشرطية تقلب الفعل الماضي إلى المستقبل[٢]. وذلك وغيره من التنويع في معاني أبنية الفعل، إذا اقترنت ببعض الأدوات، وهو يدل على غنى اللغة العربية، وتميزها في معاني الفعل الوقتية[٣].

ب- الأفعال التقريرية، ويمثِّلها في الملفوظ المتقدم: أَتَيْتَنَا، وآوَيْنَاكَ، وآسَيْنَاكَ، وصَدَّقْنَاكَ، ونَصَرْنَاكَ.

وغرضها الإنجازي: وصف قُدُومِ النبي ﷺ على أهل المدينة، وعَوْنِهم له بعد أن آتاهم مهاجرًا. وهي في معنى الحاضر، مع أنها أفعال ماضية، إلا "أَتَيْتَنَا"؛ فإنه لم يَنْتَهِ إيواؤهم، ومواساتُهم، وتصديقُهم، ونصرُهم له صلى الله عليه وسلم وقتَ الحوار. واستعمال الماضي في معنى الحاضر والمستقبل معروف في العربية وغيرها من اللغات السامية[٤]، كما تقدم.

<u>وهناك غرض آخر لهذه الأفعال</u> بجانب هذه القوى الإنجازية، **أراده** النبي ﷺ وهو **التأثير** في المخاطبين من الأنصار؛ فإعلانُه عن جهودهم معه **يَسْتَلُّ ما في أنفسهم من غضب**؛ إذ يَشْعُرون بتقدير جهودهم، ومكانتهم العالية

(١) انظر: شرح الرَّضِي على الكافية ١٣٩/٢

(٢) انظر: الأصول في النحو ١٩٠/٢، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/٧، والجنى الداني ٢٨٤

(٣) انظر: التطور النحوي للغة العربية ٨٩-٩٠

(٤) انظر: فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان ١١٣

عند رسول الله ﷺ ويدركون أن توزيع الغنائم في حُنَيْن كان لعلة، وليس هَضْمًا لحقوقهم.

رابعًا– أفعال في الإعداد للِقاء الرسولِ ﷺ بالأنصار:

وذلك في الملفوظ: **(فاجْمَعْ لي قومَكَ في هذه الحَظِيرةِ. قال فخرجَ سَعْدٌ، فجَمَعَ الأنصارَ في تِلْكَ الحَظِيرة. قال: فجاءَ رجالٌ من المُهاجِرينَ فتَرَكَهُمْ فدَخَلُوا، وجاء آخَرُون فردَّهُمْ. فلما اجْتَمَعُوا له أتاهُ سَعْدٌ، فقال: قد اجْتَمَعَ لكَ هذا الحَيُّ من الأنصارِ، فأَتاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ فحَمَدَ اللهَ وأَثْنى عليه بما هو أَهْلُه)**.

الأفعال الكلامية في هذا الملفوظ متنوعة: إنشائية وتقريرية (إخبارية).

أ–يُمَثِّلُ الإنشائية الفعل (اجْمَعْ)؛ وهو أمرٌ غرضه الإنجازي الطلب الحقيقي الواجب الالتزام. والدليل على ذلك فِعْلُ سَعْد بن عُبَادَة، وفَرْطُ مبادرته إلى جمع الأنصار في المكان الذي أشار إليه النبي ﷺ بقرينة تلك (الفاءات) في النسق، والتي تُنْبِؤُ عن سرعة الامتثال، وأنه كان على الفور عَقِبَ[1] أمرِ رسولِ الله ﷺ له، **وقد ترتب عليه فعل اجتماع الأنصار.**

ب– وتتمثل الأفعال التقريرية في: **(**أَتَاهُ، وأَتَاهُمْ، وجاءَ، وتركَهُمْ، وأَثْنى، واجْتَمَعَ، واجْتَمَعُوا، وحَمَدَ، وخَرَجَ، ودَخَلَ، ورَدَّهُمْ**)**. وقد **وَصَفَتْ** تحرُّكَ سعد بن عُبَادَةَ، والأنصارِ، وبعضِ المهاجرين، في لقائهم بالنبي ﷺ.

ووصف بعضُها عنايتَه صلى الله عليه وسلم بالحمد والثناء على الله وسط هذه الأجواء المضطربة. وتدخل أفعال الحمد والثناء في "التَّعْبِيريَّات"،

(١) انظر في دلالة الفاء العاطفة على هذا المعنى (التعقيب، أي حُدوث الشيءِ بَعْدَ الشيءِ بلا مُهْلَةٍ) اللسان (أول باب الفاء) ٣٣٣٣/٥، والجنى الداني في حروف المعاني ٦١

بحسب تصنيف "سيرل"، **وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي**(١). وهو هنا **شعوره** ﷺ تجاه ربه خلال تلك الأزمة؛ فإن حمده له كان مستمرًّا مع هذه الحالة الطارئة الصعبة.

وتدل كثرة الأفعال في هذا المشهد على تلاحق الأحداث، وكثرة الحركة في تنظيم هذا اللِّقاء.

خامسًا- أفعالٌ تُبَيِّنُ سبب حرمان الأنصار من الغنائم، وإعطاء غيرهم:

وذلك في قوله ﷺ: **(أَوَجَدْتُمْ يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ في أنفسِكُمْ في لُعَاعَةٍ من الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بها قَوْماً ليُسْلِمُوا، ووَكَلْتُكُمْ إلى إسلامِكُمْ)**.

الأفعال الكلامية في هذا الملفوظ: تأَلَّفْتُ، ليُسْلِمُوا، أَوَجَدْتُمْ؟ وَكَلْتُكُمْ.

وهي متنوعة كما نرى: إنشائية، وتقريرية (إخبارية).

أ- إنشائية، وتتمثل في الفعل **(أَوَجَدْتُمْ)؟ فهو استفهام غرضه الإنجازي التقرير، بمعنى التحقيق والتثبيت، أي قد وَجَدْتُم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعَة**؛ بقرينة عدم الإجابة؛ لأن الاستفهام بهذا المعنى لا تلزم فيه الإجابة. وقد أدركوا هذا **المعنى التداولي**؛ فلم يجيبوا. وذكر لهم أنَّهم قد غضبوا من أجل (لُعَاعَة)، إذ قال: **(أَوَجَدْتُم يا مَعْشَرَ الأنصارِ في أنفسِكم في لُعَاعَةٍ من الدُّنْيَا)؟** واللُّعَاعَة هي: الشيء اليسير(٢). كما تقدم.

ب- تقريرية، وهي الأفعال الباقية، ماضيةٌ (تأَلَّفْتُ، ووَكَلْتُكُمْ)، ومضارعةٌ (ليُسْلِمُوا). وقد بيَّنت علَّةَ منع الأنصار من الغنائم، وإعطاء غيرهم. وقد اهتم بها رسول الله ﷺ؛ **ليستلَّ** من صدورهم المَوْجِدَة التي شعروا بها.

(١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٥٠

(٢) انظر: المحيط في اللغة لابن عباد (لع) ٩٦/١، واللسان (لعع) ٤٠٤٢/٥

سادسًا– أفعال في تطمين الأنصار بعدم رحيل الرَّسُول ﷺ عنهم إلى غيرهم:

وذلك في قوله ﷺ: **(أَلَا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأنصارِ أنْ يَذْهَبَ الناسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ، وتَرْجِعُوا برَسُولِ اللهِ إلى رِحَالِكُمْ؟**

فَوَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الهِجْرَةُ لكنتُ امْرَأً من الأَنْصارِ، ولو سَلَكَ الناسُ شِعْباً وسَلَكَتِ الأَنْصارُ شِعْباً، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأنصارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصارَ، وأبناءَ الأَنْصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأَنْصار).

الأفعال الكلامية في هذا الملفوظ إنشائية، وهي ذات أغراض إنجازية متنوعة:

أ– **استفهام غرضه الإنجازي العَرْض،** وهو فيما قدَّمه رسول الله ﷺ للأنصار: **(أَلَا تَرْضَوْنَ... أنْ يذهبَ الناسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ، وتَرْجِعُوا برسولِ اللهِ إلى رِحَالِكُم)؟** فإنه عرض عليهم في شكل سؤال أن يرجعوا به إلى رِحالهم. واللفظ قد يكون استفهامًا، ويفيد "معنى العَرْض"(١) عن طريق الوحدة الصرفية (أَلَا)(٢).

ويساعد هذا الاستفهام المفيد للعَرْض في استلال غضب الأنصار وتغيير موقفهم بشأن الغنائم، **فلهذه الأفعال غرض تأثيري** أيضًا بجانب **غرضها الإنجازي** المتقدم.

ب– **النداء،** وهو في قوله صلى الله عليه وسلم: **(يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ). وغرضه الإنجازي** إقبال الأنصار على رسول الله ﷺ بأذهانهم؛ للوعي بالعَرْض الذي سيقدمه لهم. وله **غرض تأثيري** أيضًا؛ فإن نداءهم بصفة الأنصار يغيِّر في موقفهم الغاضب.

---

(١) انظر: الكتاب ٣/٥١٤، والصاحبي ٢٩٤

(٢) "أَلَا"لها معانٍ عديدة تستفاد من سياق الكلام، وهي: الاسْتِفْتاح وتنبيه المخاطب، والعَرْض، والجواب. انظر: الجنى الداني في حروف المعاني ٣٨١–٣٨٣

جـ- القَسَم، وهو في قوله صلى الله عليه وسلم: **(فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الهِجْرَةُ لكنتُ امْرَأً من الأَنْصارِ)**.

وقد أراد النبي ﷺ بهذا القسم تأكيد[1] تعهده بفعل شيء للأنصار، وهو أنه لولا الهِجْرَة لانتسب إلى دارهم المدينةِ، أو لانْتَسَبَ إليهم، كما كانوا ينتسبون بالْحِلْفِ، لكن خصوصية الهجرة سبقت؛ فمنعت من ذلك، وهي أعلى وأشرف، فلا يجوز تبديلها[2].

ولهذا **القَسَم تأثير كبير أيضًا في نفوسهم**، فقد أكَّد به رسول الله ﷺ حبَّه الشديد لهم؛ مما يؤثِّر في سلوكهم. قال الخَطَّابي (ت ٣٨٨ هـ) -مبيِّنًا هذا **الغرض التأثيري** فيما نقله عنه ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)-: **(أراد بهذا الكلام تألُّفَ الأنصارِ، واستطابةَ نفوسِهم، والثناءَ عليهم في دينهم**؛ حتى رضي أن يكون واحدًا منهم؛ لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها)[3]. وصرَّح بهذا الغرض أيضًا القَسْطَلاني[4] (ت ٩٢٣ هـ)، والشيخ زكريا الأنصاري[5] (ت ٩٢٦ هـ).

د- الشَّرْط، في قوله صلى الله عليه وسلم: **(لو سَلَكَ الناسُ شِعْباً وسَلَكَتِ الأنصارُ شِعْباً، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأنصارِ)**.

---

(١) انظر: من فنون الأدب العربي في عصر صدر الإسلام د/ رفعت التهامي ١٢٩

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (كتاب المغازي -باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمانٍ) لابن حجر ٦٤٨/٧، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (كتاب المغازي - باب مناقب الأنصار) للقَسْطَلاني ١٣/١٣

(٣) فتح الباري ٦٤٨/٧

(٤) انظر: إرشاد الساري ١٣/١٣

(٥) انظر: مِنْحَة الباري بشرح صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار -باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار) للشيخ زكريا الأنصاري ٩٧/٧

وقد تعهَّد فيه رسول الله ﷺ **بفعل شيء آخر** أيضًا، وهو أنه سيسْلُك شِعْبَ الأنصار، ولو سَلَك الناس كلُّهم شِعْبًا آخر. وقد عزَّزَ رسول الله ﷺ بهذا الشرط أيضًا **تأثيرَه في شعورهم**؛ حيث تَبَيَّنَ به هو الآخرُ قَدْرَهم عند رسول الله ﷺ ومدى حبِّه لهم. ذكر ابن المَلَك (ت ٨٥٤ هـ) أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك (تَطْيِيبًا لقلوبهم)[١].

ولذا جاء عن أرسطو (ت ٣٢٢ ق . م) أن "اليَمِين"، و"العُهود" من وسائل تأييد الفكرة، والإقناع في الخطابة[٢]، وأن "العُهود" القولية تتحول إلى أفعال اجتماعية، يلتزم فيها المتخاطبين بفعل شيءٍ ما. وعبارته: **(العُهود ....أقاويل** أيضًا مُدَوَّنةٌ مكتوبةٌ، وهي **شريعةٌ** ما، **يَشْرَعُها المتعاهدان على أنفسهما)**[٣].

سابعًا– أفعال في القَفْلَة النهائية للخُطْبَة:

وذلك في: (**اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ. فبكى القومُ حتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُم، وقالوا: رَضِينَا برَسُولِ اللهِ قَسْماً، وحَظًّا. ثم انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وتفرَّقُوا).**

(١) شرح مصابيح السنة لابن المَلَك ١٣/١٣

(٢) انظر: الخطابة لأرسطو طاليس ٩

(٣) الخطابة لأرسطو طاليس ١٠

الأفعال الكلامية في هذا الملفوظ متنوعة:

أ- **طلبية، وهي:**

١- **نداء** الرسول ﷺ ربّه: **(اللَّهُمَّ)**.

٢- **الأمر**، وهو في قول الرسول ﷺ: **(اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصارَ)!** وهو على وزن "افْعَلْ"، ويختص الأمر بهذا البناء(١). **وغرضه الإنجازي هنا "الدعاء"** للأنصار وذَرَارِيهم بالرحمة. **وحال المتكلمِ بالنسبة للمخاطب** هو الذي **جعل "الأمر" يفيد "الدعاء" في هذا السياق**؛ لأنه طلبٌ صادر من الرسول ﷺ لربِّ العزة جلَّ شأنه. وقد ذكر أهل اللغة أن الأمر يخرج عن معناه (طلب الفعل على جهة الاستعلاء) إلى الدعاء، أي طلب الفعل على سبيل التَّضَرُّع، إذا كان من الأدنى للأعلى، وأن المقام هو الذي يحدد ذلك المعنى وغيره(٢).

قال سِيبَوَيْهِ منبِّهًا على هذا المعنى التداولي للأمر: (اعلم أَنَّ **الدعاءَ** بمنزلة **الأمر**....، وإنما قيل: "دعاءٌ "؛ لأنه **استُعْظِمَ** أَنْ يقال: أمرٌ.... وذلك قولُك: اللَّهُمَّ زيدًا فاغفرْ ذنبَه)(٣).

وقال ابن السَّراج (ت ٣١٦ هـ) كذلك: (اعلم: أنَّ **أصل الدعاء** أن يكون على لفظ **الأمر**، وإنما **استُعْظِمَ أن يقال: أمرٌ، والأمرُ لمن دونَك، والدعاءُ لمن فوقك)**(٤). وهو ما قرره ابن فارس أيضًا في باب الأمر(٥).

---

(١) انظر: شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش ٦٣

(٢) انظر: شرح المفصل ٥٨/٧، والإيضاح للقَزْوِيني ١١٦-١١٧

(٣) الكتاب ١٤٢/١

(٤) الأصول في النحو ١٧٠/٢

(٥) انظر: الصاحبي ٣٠٢

والدعاء كالأمر يفيد الاستقبال؛ لأنه طلب حدوث شيء غير حاصل وقت الكلام نفسه(١). ولذا كان للدعاء النبوي أثر بالغ في مشاعر الأنصار، حتى إنهم بكَوْا، كما سيأتي.

ب- الأفعال التقريرية (الإخبارية) في الملفوظ المتقدم، هي: بَكَى، أَخْضَلُوا، قالوا، رَضِينَا، انْصَرَفَ، تفرَّقُوا.

وغرضها الإنجازي: وصف الأحداث التي وقعت منه صلى الله عليه وسلم، ومن الأنصار بعدما اتضحت لهم علَّةُ تقسيم الغنائم، ومكانتُهم عند النبي ﷺ، ودعاؤه لهم على نحوٍ استوعب الأنصار وذَرَارِيهم.

كما دلَّت هذه الأفعال على **التأثُّرِ الشديد للأنصار، والتحوُّلِ الكلي في موقفهم، من الغضب إلى الرضى التام؛ لدرجة أنهم قاموا بهذه الأفعال الحركية:** (فبَكَى القوم، أَخْضَلُوا، تفرَّقُوا). ويرجع ذلك لرقة أسلوبه ﷺ معهم، وشدة تأثيره فيهم، وصدق عتابه لهم.

❁❁❁

(١) انظر: شرح المفصل ٥٩/٧، وحاشية الصبان على شرح الأشموني ٥٩/١

ـ جدول لأنواع الأفعال الكلامية في الخُطْبَة، ونسبة تأثير كلٍّ منهما مقارنةً بعددها الكلي:

م	عدد الأفعال التقريرية	عدد الأفعال الإنشائية	الوزن النسبي
١	٣٨	ـ	%٥٨
٢	ـ	٢٧	%٤٢
العدد الكلي : ٦٥ فعلًا كلاميًّا.			

تعقيب:

يتبيَّن من هذا الجدول أن الأفعال التقريرية (الإخبارية) في البحث أكثر نسبيًّا من الأفعال الإنشائية؛ وذلك لأنها وصفت وقائع سبقت الخُطْبَةَ وأخرى كانت خلالها وبعدها. وهي أكثر إلى حدٍّ ما مِمَّا أُريد إيجاده في عالم الواقع، عن طريق الأوامر، والاستفهامات، والنداءات وغيرها مما يُحصيه الجدول الآتي:

ـ جدول لأنواع الأفعال الإنشائية في الخُطْبَة، ونسبة تأثير كلٍّ منها مقارنة بعددها الكلي:

م	نوع الفعل الإنشائي	عدده في الخطبة	الوزن النسبي
١	الاستفهام المفيد للتعظيم	١	%٤
٢	الاستفهام المفيد للأمر التَّحْضِيضي	١	%٤
٣	الأمْرُ المفيد للطلب الحقيقي	١	%٤
٤	الأمر المفيد للدعاء	١	%٤
٥	الاستفهام المفيد للتعجب	٢	%٨

م	نوع الفعل الإنشائي	عدده في الخطبة	الوزن النسبي
٦	القَسَم	٢	%٨
٧	الشرط	٤	%١٥
٨	النداء	٥	%١٩
٩	الاستفهام الحقيقي	٥	%١٩
١٠	الاستفهام التقريري	٥	%١٩
العدد الكلي: ٢٧			%١٠٠

تعقيب:

يتبيَّن من هذا الجدول أن نسبة الأفعال الإنشائية متفاوتة في تلك الخُطْبَة، وأن أكثرها استعمالًا النداء، والاستفهام الحقيقي، والاستفهام التقريري، ثم أفعال التَّعَهُّد (القَسَم والشَّرْط)، وبقية الأفعال. **ويتسق ذلك مع طبيعة الخُطْبَة، وقَصْدِ النبي ﷺ منها؛ فتكريرُ النداء عزَّزَ الانتباه لدى الأنصار، وكثرةُ الأسئلة أشركتْهم بقوة في عملية التواصل، وزادت تفاعلهم، والتَّعَهُّدُ لهم بأشياء عديدة يحبونها، قَوَّي صِلَتِه بهم. وقد أسهمت كثافة الأفعال الإنشائية هذه في استجابة الأنصار، وإحداث تغيير ملحوظ في موقفهم**، كما رأينا.

الخاتمة

بعد هذا التَّطْواف الشَّيِّق مع كلامه ﷺ في واحدةٍ من خُطَبِه، وهي خُطْبَته في الأنصار، بعد تقسيم غنائم حُنَيْنٍ، سنة ثمان هجرية، ودراستها في ضوء نظرية الأفعال الكلامية –توصل البحث لعدد من النتائج، من أبرزها ما يأتي:

١- مَكَّنَت هذه **القناة الصوتية (الخُطْبَة)** من نقل **رسالته** ﷺ للأنصار بدقة ووضوح، وتفاعلِهم معه، واستجابتِه لردود أفعالهم، **وإحداثِ** تغيير ملموس في موقفهم تجاه تلك الغنائم.

٢- تنوعت الأفعال الكلامية في الخُطْبَة، ما بين أفعال تقريرية (إخبارية) تمثَّلت قوتها الإنجازية في وصف بعض الأحداث والوقائع. وأفعالٍ إنشائية، مهمتها الإنجازية إيجاد أمرٍ ما في عالم الواقع. وربما احتوى المشهد الواحد في الخُطْبَة على كلا النوعين. وكان لهما تأثير بارز في العملية التواصلية بين النبي ﷺ والأنصار.

٣- نسبة الأفعال التقريرية (الإخبارية) أكثر من غيرها في الخُطْبَة؛ فعددها (٣٨) فعلًا من أصل (٦٥) فعلًا كلاميًّا حوته؛ وذلك لكثرة الأحداث التي وصفتها على حساب الأشياء التي أُريد إيجادها في عالم الواقع، عن طريق الأفعال الإنشائية. وقد وصفت تلك الأفعال التقريرية بعض الوقائع في العالم الخارجي، وعبَّرت عن الحالة النفسية للأنصار قبل لقائهم بالنبي ﷺ وبعده، وما كان من الإعداد لهذا اللِّقاء. ويمثل فيها الفعل (وَجَدُوا)، أي غَضِبوا النقطة المركزية في النص؛ فهو الداعي للخُطْبَة أصلًا.

٤- تحتل الأفعال الإنشائية في الخُطْبَة المرتبة الثانية بعد الأفعال التقريرية، فقد بلغت (٢٧) فعلًا كلاميًّا من أصل (٦٥) فعلًا فيها. وهي متنوعة، جاءت على النحو الآتي:

– الاستفهامُ المفيد للتعظيم مرةً واحدةً. وكان من الأنصار للنبي ﷺ، وأفاد تعظيمهم لشأنه صلى الله عليه وسلم.

– الاستفهامُ المفيد للأمر التَّحْضِيضِيِّ مرةً واحدةً. وكان من النبي ﷺ للأنصار، وجَّهَهُم فيه لذكر فضلهم عليه.

– الأمْرُ الحقيقي مرةً واحدةً. وأفاد طلبَ النبيِّ ﷺ جمع الأنصار بوساطة سَعْد بن عُبَادَةَ.

– الأمرُ المفيد للدعاء مرةً واحدةً. وأفاد طلب النبي ﷺ الرحمة من الله تعالى للأنصار وذَرارِيهم.

– الاستفهامُ المفيد للتعجب مرتين. وكان لدَهْشَته صلى الله عليه وسلم من غضب الأنصار عليه، وكأنه لم يتوقع ذلك منهم.

– القَسَمُ مرتين. وأفاد تَعَهُّدَ النبيِّ ﷺ بفعل أَمْرَيْنِ للأنصار.

– الشَّرْطُ أربعَ مرات. وأفاد تَعَهُّدَ النبيِّ ﷺ بِفِعْلِ بعض الأشياء للأنصار.

– النداءُ خمسَ مرات أيضًا. وأفاد فيها كلّها طلبَ الإقبال الذهني؛ لوَعْي رسول الله ﷺ بموقف سَعْد بن عُبَادَةَ من غضب الأنصار، ووَعْي الأنصار بما سيقوله ﷺ لهم في ظل هذه الأزمة، وقد لفت ذلك انتباه الأنصار، **وأفاد** أيضًا **توقِيرَ** النبي ﷺ لهم، وهو **غرض تأثيري** بجانب **الغرض الإنجازي** المتقدم.

– الاستفهامُ الحقيقي خمسَ مرات كذلك. وأفاد فيها طلبَ معرفة بعض الأشياء.

– الاستفهامُ التقريري خمسَ مرات. وأفاد تذكير الأنصار بالنِّعَم التي أجراها الله لهم على يَدَيْ رسوله ﷺ. كما أفاد في موطن آخر تقرير سَعْد بن عُبَادَةَ بما ظهر للنبي ﷺ من حاله، وهو يعرض موقف الأنصار، أنه يرتضي موقفهم.

٥- ظهر جليًّا في الخُطْبَة دور أفعال القَسَم والشرط في **تأكيد الكلام**، والتزامِه صلى الله عليه وسلم **بفعل بعض الأشياء** للأنصار، كسُلُوكه لشِعْبَهم وإنْ سَلَك الناس كلهم شِعْبًا آخر، وكرجاء أن يكون أنصاريًّا لولا ما يُعرف من هجرته. ويدل ذلك على تعلقه بالأنصار، وارتباطه الشديد بهم؛ وهو ما جعل لهذه الأفعال **غرضًا تأثيريًّا** بالإضافة **للغرض الإنجازي** المتقدم، وقد ظهر ذلك في نفوس الأنصار وسلوكهم.

٦- نبَّه النبي ﷺ الأنصار إلى أهمية مضمون الخطاب؛ فافْتَتَحَه بندائهم: (يا مَعْشرَ الأنصار). وقد كرره أربع مرات؛ لاستمرار هذا الانتباهِ، والوَعْي بما سيقوله لهم. ولهذا النداء **غرض تأثيريٌّ** بجانب هذا **الغرض الإنجازي**، وهو **مدح** هؤلاء القوم بصفة عظيمة عُرفوا بها، وهي أنهم أنصار الله ورسوله؛ وذلك مما يَسترضيهم، ويُذهب ما في قلوبهم من غضب بسبب شيء من عَرَضُ الدنيا.

٧- ساعد السياق الخارجي للخُطْبَة على أن تتم في ضوء خطاب تداولي مفهوم لكل من المرسِل والمستقبل دون لبس؛ فتأتي مثلًا الإجابة مع الاستفهام الحقيقي، وتمتنع مع الاستفهام التقريري. ويفيد الاستفهام التعجب في موضع آخر من الخُطْبَة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: **(ما قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عنكم؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوها عليَّ في أنفسكم)**؟ حيث علم بموقفهم هذا قبل أن يجلس معهم. وكان لهذا السؤال تأثير في نفوس الأنصار؛ فهو يحمل عتابًا لهم، وتعجبًا من أمرهم، وكأنه لم يتوقع ذلك منهم.

٨- للعديد من الأفعال الكلامية في الخُطْبَة أغراض تأثيرية، بجانب أغراضها الإنجازية؛ مما أسهم في تحقيق نتائجها المرجوة، وتغيِّير موقف الأنصار من الغضب إلى الرضى، واقتناعهم بما صنعه رسول الله ﷺ في غنائم حُنَيْن.

٩- عُرِفت ظاهرة "الأفعال الكلامية" عند أسلافنا، ودرسها بعضهم في مبحث مستقل، كابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في باب "معاني الكلام" في كتابه: "الصاحبي". كما وُجِدت لمَحات من التداولية عامةً لدى الأصوليين، والبلاغيين، واللغويين، وغيرهم، فقد ربط الزجَّاج (ت ٣١١ هـ) وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) مثلًا **اللغة بالمتخاطبين**؛ لبيان المعنى التداولي لبعض الأفعال في القرآن الكريم، وبعضِ التعبيرات الاصطلاحية. وهذا هو جوهر التداولية، والأساس الذي تقوم عليه.

د/ ياسر السيد رياض السيد المرسي

❁ ❁ ❁

المصادر والمراجع

١- الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب د/ علي عزت، ط: شركة أبو الهول للنشر -القاهرة، ط: الأولى ١٩٩٦م.

٢- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ت: الأستاذ سعيد المندوه، ط: دار الفكر -بيروت لبنان، ط:الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد القَسْطَلاني، ط: دار ابن حزم -بيروت لبنان، ط: الأولى ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.

٤- أسباب وُرُود الحديث (أو اللُّمَع في أسباب وُرُود الحديث)، للسيوطي، ت: د/ يحيى إسماعيل، ط: دار الوفاء -المنصورة، ط: الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البَرِّ، ت: الأستاذ/ طه عبد الرؤوف سعد، مطبوع على حاشية الإصابة في تمييز الصحابة، ط: دار الغد العربي -القاهرة، د ت.

٦- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ت: الأستاذ/ طه عبد الرؤوف سعد، ط: دار الغد العربي -القاهرة، د ت.

٧- الأضداد، لابن الأنباري، ت: الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية -صيدا بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٨- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر د/ محمود أحمد نحلة، ط: دار المعرفة الجديدة -مصر ٢٠٠٢م.

٩- الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، للخطيب القَزْوِيني، ت: الأستاذ/ إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية -بيروت لبنان ط: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٠- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، ت: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: مكتبة دار التراث -القاهرة، د ت.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، ت: الأستاذ/ عبد الستار أحمد فراج وآخرين، مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م وما بعدها.
١٢- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعارف –مصر، ط: الثانية د ت.
١٣- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر –تونس ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١٤- تحليل الخطاب العربي (المفاهيم والمذاهب والأسس والتطبيق) د/ محمود عكاشة، ط: مكتبة المتنبي، الدمام –السعودية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
١٥- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية د/ عمر بلخير، ط: دار الأمل –الجزائر، ط: الثانية، د ت.
١٦- التداوليات وتحليل الخطاب د/ جميل حمداوي، ط: الأولى ٢٠١٥م.
١٧- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي د/ مسعود صحراوي ٥٣ ط: دار الطليعة –بيروت لبنان، ط: الأولى ٢٠٠٥م.
١٨- التداولية من أوستن إلى غوفمان، لفيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، ط: دار الحوار –سوريا، ط: الأولى ٢٠٠٧م.
١٩- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تأليف: آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: د/ سيف الدين دغفوس، د/ لطيف زيتوني، ط: دار الطليعة – بيروت لبنان، ط: الأولى ٢٠٠٣م.
٢٠- التطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه د/ رمضان عبد التواب، ط: مكتبة الخانجي –القاهرة، ط: الرابعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢١- التعريفات، لعلي بن محمد الجُرْجَاني، ت: الأستاذ/ إبراهيم الأبياري، ط: دار الريان للتراث –القاهرة، د ت.
٢٢- تفسير أبي السُّعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ط: دار إحياء التراث العربي –بيروت، د ت.
٢٣- تهذيب اللغة، للأزهري، ت: الأستاذ/ عبد السلام محمد هارون وآخرين، ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة –مصر، د ت.
٢٤- الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المُرَادي، ت: د/ فخر الدين قَبَاوَة والأستاذ/ محمد نديم فاضل، ط: دار الكتب العلمية –بيروت لبنان، ط: الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٢٥- حاشية الصَّبَّان على شرح الأُشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، لمحمد بن علي الصَّبَّان، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه –مصر، د ت.
٢٦- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ت: الأستاذ بدر الدين قهوجي، والأستاذ بشير جويجاتي، ط: دار المأمون للتراث –دمشق، ط: الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٢٧- حِلْيَة الفقهاء، لابن فارس، ت: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: الشركة المتحدة للتوزيع –بيروت، ط: الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.
٢٨- الخصائص، لابن جني، ت: الأستاذ/ محمد علي النجار، ط: دار الكتاب العربي –بيروت لبنان، د ت.
٢٩- الخطابة، لأرسطو طاليس، تلخيص وشرح أبي علي بن سِينا، ت: د/ محمد سليم سالم، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة –القاهرة ٢٠٠٩م، ضمن سلسلة الذخائر ١٨٠.
٣٠- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجُرْجَاني، ت: الأستاذ/ محمود محمد شاكر: ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة ٢٠٠٠م.

٣١- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، ت: د/ نعمان محمد أمين طه، ط: دار المعارف –القاهرة، ط: الثالثة، د ت.
٣٢- السيرة النبوية (السير والمغازي)، لابن إسحاق، ت: الأستاذ/ أحمد فريد المزيدي، ط: دار الكتب العلمية –بيروت لبنان، ط: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٣٣- السيرة النبوية، لابن كثير، ت: الأستاذ/ مصطفى عبد الواحد، ط: دار المعرفة –بيروت لبنان ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م.
٣٤- السيرة النبوية، لابن هشام، ت: الأساتذة: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر، ط: الثانية ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
٣٥- شرح الرَّضِي على الكافية لابن الحاجِب، تأليف: رَضِي الدين الأسْتَرَبَاذِي، ت: د/ يوسف حسن عمر، ط: جامعة قار يونس –ليبيا ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٣٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت: الشيح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار التراث –القاهرة، دار مصر للطباعة، ط: العشرون ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٣٧- شرح الكافية الشافية، لابن مالك، ت: د/ عبد المنعم أحمد هريدي، ط: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي –مكة الكرمة، ط: الأولى د ت.
٣٨- شرح مصابيح السنة للبغوي، تأليف: ابن المَلَك، ط: إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف –الكويت، ط: الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٣٩- شرح المفصل، لابن يعيش، ط: مكتبة المتنبي –القاهرة، د ت.
٤٠- شرح الملوكي في التصريف، لابن يعيش، ت: د/ فخر الدين قَبَاوَة، ط: المكتبة العربية –حلب، ط: الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٤١- الصاحبي في فقه اللغة وسُنَن العرب في كلامها، لابن فارس، ت: الأستاذ/ السيد أحمد صقر، ط: دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى الحلبي – القاهرة، د ت.

٤٢- صحيح البخاري (وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط: دار التأصيل –القاهرة، ط: الأولى ١٤٣٣هـ /٢٠١٢م.

٤٣- الطِّرَازُ الأَوَّلُ والكِنَازُ لما عليه مِنْ لغة العَرَبِ المُعَوَّلُ، لابن مَعْصُوم المَدَنِي، ط: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث –إيران ١٤٢٦هـ.

٤٤- علم اللغة الحديث د/ محمد حسن عبد العزيز، ط: مكتبة الآداب –القاهرة ٢٠١١م.

٤٥- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د/ محمود السعران، ط: دار الفكر العربي –القاهرة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٦- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال، د ت.

٤٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حَجَر العَسْقَلاني، ت: الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الريان للتراث –القاهرة، ط: الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٤٨- الفروق اللغوية، لأبي هلال العَسْكَرِي، ت: د/أحمد سليم الحمصي، ط: جروس برس طرابلس –لبنان، ط: الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤٩- فقه اللغات السامية، تأليف: كارل بروكلمان، ترجمة: د/ رمضان عبد التواب، ط: جامعة الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٥٠- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، ت: الأساتذة: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة –القاهرة ٢٠٠٨م.

٥١- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام/ د/ طه عبد الرحمن، ط: المركز الثقافي العربي –الدار البيضاء المغرب، ط: الثانية ٢٠٠٠م.
٥٢- فيض الباري على صحيح البخاري، لمحمد أنور شاه الكشميري الهندي، ت: د/ محمد بدر عالم الميرتهي، ط: دار الكتب العلمية –بيروت لبنان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٥٣- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م وما بعدها .
٥٤- الكتاب، لسيبويه، ت: الأستاذ/ عبد السلام محمد هارون، ط: مكتبة الخانجي –القاهرة، ط: الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٥٥- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي، ت: د/ علي دحروج، ط: مكتبة لبنان ناشرون –بيروت، ط: الأولى ١٩٩٦م.
٥٦- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، ت: د/ محيي الدين رمضان، ط: مؤسسة الرسالة –بيروت لبنان، ط: الخامسة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٥٧- لسان العرب، لابن منظور، ت: الأساتذة: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، ط: دار المعارف –القاهرة، د ت.
٥٨- اللُّمَع في العربية، لابن جني، ت: د/ فائز فارس، ط: دار الكتب الثقافية – الكويت، د ت.
٥٩- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سِيده، ت: د/عبدالحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، ط: الأولى٢٠٠٠م.
٦٠- المحيط في اللغة، للصاحِب بن عبَّاد، ت: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط: عالم الكتب –بيروت، ط: الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٦١- المخصص، لابن سِيده، ط: دار إحياء التراث العربي –بيروت لبنان، ط: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٦٢- مستويات التحليل اللغوي دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة أ.د/عبد المنعم عبد الله حسن، ط: مطبعة السعادة -مصر، ط: الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٦٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط: مؤسسة قرطبة -مصر، د ت.

٦٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافِعِي، تأليف: أحمد بن محمد الفيومي، ط: دار الفكر، د ت.

٦٥- المَعالِم في علم أصول الفقه، لفخر الدين الرَّازِي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط: دار عالم المعرفة -القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٦٦- معاني النحو، د/ فاضل صالح السامرائي، ط: دار الفكر -الأردن، ط: الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٦٧- معاني القرآن وإعرابه، للزَّجَّاج، ت: د/ عبد الجليل عبده شلبي، ط: دار الحديث -القاهرة، ط: الثانية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

٦٨- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، ت: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ط: الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٩- معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط: دار صادر -بيروت، ط: الثانية ١٩٩٥م.

٧٠- معجم ما استعجم، لأبي عُبَيْد البَكْرِي، ت: الأستاذ مصطفى السقا، ط: عالم الكتب -بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٣هـ.

٧١- المعجم الوسيط، إعداد: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط: الثالثة، د ت.

٧٢- مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: الأستاذ/ عبد السلام محمد هارون، ط: دار الجيل -بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٧٣- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب د/ محمد محمد يونس علي ٣٤، ط: دار الكتاب الجديدة المتحدة -بيروت لبنان، ط: الأولى د ت.

٧٤- مِنْحَة الباري بشرح صحيح البخاري، للشيخ زكريا الأنصاري، ت: الأستاذ/ سليمان بن دريع العازمي، ط: مكتبة الرشد –الرياض السعودية، ط: الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧٥- من فنون الأدب العربي في عصر صدر الإسلام د/ رفعت التهامي عبد البر، ط: خاصة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٧٦- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تأليف: فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، ط: أفريقيا الشرق –الدار البيضاء المغرب ٢٠٠٠م.

٧٧- النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ د/ محمود عكاشة، ط: مكتبة الآداب –القاهرة، ط: الأولى ٢٠١٣م.

٧٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ت: د/ طاهر أحمد الزاوي، د/ محمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية –بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

❁❁❁